جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

قانون الوراثة عند التطوريين وموقف الإسلام منه

الدكتورة
سناء محمد مهران مصطفى
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء السادس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله عرف الخلق بذاته ودلهم عليه بأسمائه وصفاته وبث فيهم دلائله فصارت شاهدة على وجوده وبقائه ووحدانيته وكماله وجلاله.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله، فطر القلوب على معرفته، وجعل العقول ناطقه بتوحيده، وبث في النفوس الطمأنينة به وجعلها خالصة له فقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمد بن عبده ا ورسوله، بعثه الله بالحق وجعله خاتمًا للأنبياء والمرسلين حتى يأخذ بيد الخلق الى الحق فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣).

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا أنجما تضئ جنبات ا لليل البهيم وزكاهم رب العالمين(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨).

(٢) سوره طه: الآية (١٤).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

(٤) من ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ من سورة الفتح: الآية (٢٩).

وارضى اللهم عن التابعين والعلماء العاملين الذين ذكرهم الله فى كتابه الكريم وبين أنهم أهل الخشية منه والمحبة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(١).

أما بعد،،،

فان الفلسفة الحديثة بقدر ما قدمت من معارف، فإنها مارست العديد من الضغوط على العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين، وبقدر ما قدم البحث العلمى من نتائج مادية فانه أثر سلبا على الجوانب الروحية، وصار من المألوف فى الكتابات الصادرة عن الفلسفة الحديثة والمعاصرة أن يواجه المرء دعاوى الإلحاد سافرة وأكثرها من يعتمد على التجربة فى المجال الاحيائى زاعمين أنها تؤيدهم فيما يذهبون إليه من الإلحاد أو يدعوه.

وقد هالنى ما رأيت ومن ثم وقفت على الأفكار التطورية التى يزعم أصحابها استغناءهم عن الإله الخالق وتمسكهم بالأفكار البعيدة عن صدق التجربة.

وبناء عليه اخترت أن يكون هذا البحث بعنوان:

" قانون الوراثة عند التطوريين وموقف الإسلام منه"

وذلك قد دفعنى إلى استخدام عدة خطوات حتى بلغ المنتهى الذى قدر لى من ناحية بحثه.

---

(١) سورة فاطر: الآية (٢٨).

وأبرز تلك الخطوات ما يلى:

أولاً ـ أسباب اختيار الموضوع:

١ـ إن الفكر الحديث خرج من رحم لم يجتمع لأصحابه صحيح العقيدة، ولا سليم العبادة، وإنما هم الذين تنازلوا عن معتقداتهم الدينية وصاروا يحاولون في كل حقيقة دينية، اعتقادًا منهم أن الدين سبب التخلف والجهل وليس الأمر كذلك، وإنما الدين الإلهي هو الذي قامت عليه الحضارة الزاهية والتاريخ العام للإنسانية.

٢ـ إن أصحاب هذا الفكر أقاموا خصومة بينهم وبين الدين الذي يعتقدونه فى مواطن إقامتهم وأعنى به الدين المسيحي الذي يعلن رجال اللاهوت فيه أن الإله قد حملت به امرأة ثم وضعته في مزود للحيوان وأخيرا تمكن منه خصومه فصلبوه وقتلوه وفى ارض مجهولة دفنوه حتى قال نيتشه إن الإله قد مات وأن يكن هناك إله فلن يكون إلا نيتشه، وبالتالي أردت أن اكشف عن طبيعة قانون الوراثة إذا استعمل على الناحية الشرعية، وفى هذه الحالة يمكن أن يكون أداة لدعم الإيمان بدلا من أن يكون وسيله للكفر والإلحاد والمزيد من العصيان.

٣ـ إن الذي يتعلق بقانون الوراثة على النحو الذي ذهب إليه التطوريون يخالف القواعد الإحيائية المتعارف عليها وبالتالي فهو يقدم جوانب منقوصة تتحدث باسم العلم وليس لها من العلم نصيب إنها تتحدث عن العلم النظري ولا تسعى لتطبيقه فى علم تجريبي واختلاف المنهج أدى إلى العبث في النتائج

فكانت مهمة هذا البحث بيان أن المنهج العلمي الصحيح لا يقر الانفلاتات التى دعا إليها أصحاب التطور.

٤ـ أن ما يتناوله التطوريون قد يكون مقبولا إذا جاء بعيدا عن العقيدة فكل شيء في الكون يتطور لكن بأمر الله تعالى، وكل شيء في الكون مقدر بتقدير العزيز العليم، ولو أنهم نسبوا هذا التطور والتقدير في الأشياء إلى الله ما كان بينهم وبين أحد خصومة لأن الواقع يشهد بالتطور، أما أن يستبعدوا الخالق فقد وقعوا في المحرم من كل ناحية ويجب الدفاع عن العقيدة الإلهية فهي أغلى ما يملكه المسلم وأعز.

٥ـ أن التطوريين رددوا الأفكار التي قام بها اليونان من ناحية اجتماع العناصر وتآلفها وامتزاج قوى الطبيعة وعدم تخالفها، فكانت أقوال المحدثين رجع صدى للمتقدمين، فكان من الضروري بيان الخط الذي يجمع بين الطرفين، ويوضح ما يجب اتخاذه في مواجهه هؤلاء المنحرفين.

٦ـ إن الكثيرين من الدراسيين يعتقدون صدق هذه الأفكار، والحق أنها بعيدة كل البعد عن ميدان الصدق، فكان من الضروري انه من الواجب إزالة هذه الرهبة وكشف القناع، وبيان أنها أفكار لا ترقى إلى حد المنازعة أو القبول.

٧ـ إن المكتبة الإسلامية لا تزال بحاجه إلى مثل هذه الموضوعات حتى تعالج قضايا العلم التجريبي وتبين موقفها من العقيدة الإلهية فما كان صوابا على ميزان الإسلام قبل، وما كان مخالفا لقواعد الإسلام يجب أن يرد ويهمل.

ثانياً ـ منهجي في الدراسة :

المنهج هو الطريق الذى يوصل من المقدمات إلى النتائج ويسلكه الباحث بغية الوصول إلى طريق سليم، ومن هنا تعددت المناهج بين نظرية وتجريبية والنظرية تنوعت إلى تاريخية استردادية وأخرى وصفية وثالثة تقريرية،

والتجريبية تنوعت إلى تطبيقية وتنظيرية، إلى غير ذلك من التقسيمات والتنوعات التى عني بها علم المناهج.

غير أنى في هذه الدراسة سألجأ إلى منهج التكاملي، وهو الذي يضم بين جنباته أكثر من منهج بحيث يعطى الباحث فرصه فى الانتقال من الجانب التاريخى إلى الجانب التحليلى ومن الوصفي إلى غيره، وذلك فيما يقدم للبحث العديد من الفوائد ويجعله قادرًا على القيام بواجباته فى صورة عملية.

ثالثاً ـ أهم المشكلات البحثية:

الأولى : مشكله العثور على ما تركه الفلاسفة المحدثون للغتهم؛ لأن كل ما يصل هو المنقول عنهم على سبيل الترجمة، والباحث يخشى أن تكون المفردات قد تم نقلها من لغتهم إلى العربية على الناحية القاموسية فتكون هناك علاقة غير منضبطة بين هذه الألفاظ والمعانى المنقولة.

الثانية : استخدام المفردات العلمية التى قد تكون مطروقة لدى القائلين بها لكنها ليست مطروقة عند المستقبلين لها ، فقد تكون واقعة فى نطاق الاصطلاح الخاص ويتم التعامل بها على نطاق المعرفى العام وهنا توجد مشكلة أخرى تتولد عن السابقين.

الثالثة : صعوبة الاتفاق بين وجهة نظر باعتبار أن الباحث العلمى منقاد إلى رصيده المعرفى القائم على خبراته وثقافاته وهو فى المقابل يفتقد الجانب الإيمانى الذى فطر الله الناس عليه وحينئذ تبدو المشكلة واسعة.

وكان هذا البحث صيحة تحاول إزالة تلك المشكلات من الطريق وهو ما حاولت القيام به أثناء العرض والمناقشة.

رابعاً : مكونات الدراسة :

تتكون هذه الدراسة من :

مقدمة تشتمل على أسباب اختيار الموضوع والمنهج المستخدم والمشكلات البحثية.

ومجمل مكونات الدراسة :

الفصل الأول : قانون الوراثة بين المفهوم والدلالة.

الفصل الثاني : مبادئ الوراثة ومناقشتها.

الفصل الثالث : نتائج الوراثة وبيان فسادها.

الخاتمة : وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً: أبرز التفاصيل.

ثالثاً: أهم المقترحات.

أهم المصادر والمراجع

الفهرس

والحمد لله رب العالمين.

قانون الوراثة عند التطوريين وموقف الإسلام منه

فكرة الوراثة عند التطوريين وموقف الإسلام منها :

جرت سنة الله تعالى فى خلقه أن تكون هناك أسباب ومسببات ووسائط وعلاقات، وبالتالي كلها شاهدة على وجود بارئ الأرض والسماوات الذى خلــق فسوى وقدر فهدى.

ومن المهم أن يكون الإنسان على وعى بأنه مخلوق لله تعالى وما يجرى فى كونه هو ملك له جل علاه وأمره قائم بين الكاف والنون.

وحينئذ قد غفر العلم بمقدمات وتجارب، وكان الأولى أن يزيد أهله إيمانًا ويقينًا، بل ويدعم فيهم هذا الإيمان حتى يبلغ كل فرد منهم مبلغ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

بيد أن مجموعة ممن وهموا العلم خرجوا على الإيمان واعتبروا أنفسهم خالقين لا مخلوقين، واستدلوا على هذا الإلحاد بقضايا العلم التجريبي، وبعضــهم اعتبر أن ما يجرى فى الكون وليد المصادفة إلى غير ذلك من الوجوه.

وظهر على متن هؤلاء طائفة عُرفوا بالتطوريين الذين زعموا أن الكون وقع له النشوء والارتقاء، وبالتالي فلم يكن بحاجة إلى إله خالق عظيم.

وقد رد عليهم القرآن الكريم وأمثالهم ومن سيأتى بعدهم فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[1].

وقد بان لي أن حديثهم عن التطور وقوانينه أو أفكاره يحتاج إلى دعم.

وها أنا ذا ألتقى مع فكرة الوراثة التى أتحدث عنها فما هى الوراثة من حيث المفهوم والدلالة؟

ذلك ما يمثل صلب الفصل الأول.

---

(١) سورة الرعد: الآية (٣٣).

الفصل الأول

قانون الوراثـــة بين المفهوم والدلالة

وردت مادة الكلمة (ورث) في القرآن الكريم حوالى خمس وثلاثون مرة موزعة على عشرين سورة[١].

كذلك وردت مادة الكلمة فى اللغة والاصطلاح، وذلك مما يحتاجه افرادات الحديث عنها من حيث أن ألفاظ اللغة حمالة أوجه، حتى إن اللفظ الواحـــد ربمـــا يمثل معان كثيرة إذا لم يتحدد المراد منها ضل المرء أو غوى وسوف أعرض لها من خلال ما يلي:

أ) في اللغة:

وردت مادة هذه الكلمة فى لغة العرب على معان كثيرة منها:

المعنى الأول ـ التملك:

ورث العرب فلان، ورث عن أبيه عقاراً يقصدون أنه تملكه وصار حـــر التصرف فيه يفعل به ما يراه مناسباً له[٢].

وعلاقة هذا المعنى بما نحن فيه أن الابن قد يرث عن أحد أبويه صـــفة من الصفات الجسدية فيكون صورة من أحد والديه كأنها مطبوعة فيه فيمكنه أن يعدل فيها أو يغير.

---

(١) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القـــرآن الكـــريم ص٧٤٨،ط دار الريـــان للتراث١٩٥٨.

(٢) العلامة الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الثاء، فصل الواو وما يماثلهما

المعنى الثاني ـ الطبعة الثابتة:

نقل لعب الحافر أو الوعاء نسخة منه أو صورة له ومن كلامهم "من شابه أبه فما ظلم"[١].

وعلاقة هذا المعنى أن الصفات التى تجري بين الآباء والأبناء لا يمكن أن تنفصل إلا فى حالات نادرة وهذا فى حد ذاته يمكن أن يستدل به على وجود الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ﴾[٢].

المعنى الثالث ـ الإدخال:

ذكرت مصادر عربية قولها "ورث الحفيد جده ما ورث فصار مدخولاً فى أسرته رغم أنه ليس مباشراً له، وإنما بينهما وسيط وهو الأب"[٣].

بمعنى أن الوراثة تمثل نوعًا من الانسلال القائم بين الأجداد والآباء والأحفاد طبقاً لحكمة إلهية مشار إليها فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٤].

يجوز أن يراد بالإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان﴾، آدم، وقال بذلك قتادة، فتكون السلالة الطينية الخاصة التي كون الله منها آدم وهي الصلصال الذي ميزه من الطين في مبدأ الخليقة، فتلك الطينة مسلولة سلا خاصًا من الطين ليتكون منها حي، وعليه فضمير ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾، على هذا الوجه عائد إلى الإنسان باعتبار كونه نسلاً لآدم[٥].

---

(١) شرح الألفية، ج١، ص٣١٧.

(٢) سورة السجدة: الآية (٧).

(٣) راجع لويس معلوف، قطر المحيط، باب الواو، ص٢٣٦٦، ط ١٨٦٩م

(٤) سورة المؤمنون: الآية (١٢).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص٢٣، ج١٩، ط الدار التونسية ١٩٨٤م.

المعنى الرابع ـ التقاطع:

تقول العرب : "أخذ ميراثه" يريدون أنه تقاطع مع أخوته فيما تركه أبوه وجده، وتحول من قطعة كبيرة إلى قطع صغيرة يمكن أن يجد فيها نصيبا كل فرد على ناحية مستقلة(١).

وعلاقة هذا المعنى أن الابن قد يرث عن أبيه بعض الصفات الإيجابية، وقد يرث عن أبيه بعض الصفات المتنحية(٢).

ومن ثم فإن الوراثة كما تجئ فى الصفات فإنها تجئ فى غيرها، وهذا ما يؤكد عليه الإحيائيون فى دراساتهم العلمية.

المعنى الخامس ـ التباين الجزئي:

تقول العربية "إن هذا الميراث انفرد به كل عن صاحبه وصار على غير ما كانت صورته وبالتالى فكل واحد من الورثة صار مبايناً لغيره لميراثه"(٣).

وبناء على ما سلف فإن العلاقة التى تقوم بين هذا المعنى وما نحن فيه كاشفة عن هذا التباين المحيط والتلاقى من ناحية أخرى باعتبار أن الميراث إن

---

(١) العلامة إسماعيل الجوهري، الصحاح، تاج اللغة، صحاح العين، حرف الواو، ص٢٣٨، ترجمة: د. محمد تامر وآخرين، ط دار الحديث، القاهرة.

(٢) الصفات السائدة والصفات المنتحية من المصطلحات المعلوم بها في علم الأحياء، ويقصدون بالسائدة ذات السلطان على غيرها، أما المنتحية هي التي تتوارى وتبلغ حد التلاشي.
راجع: إدوارد بكنت، فانون الوراثة وآراء التطوريين/ كراجعة إحيائية ص٨٥، ترجمة: د. عبدالله سيد، ط دار المعرفة، ١٩٨٥م.

(٣) الشيخ علي بن حسن بن علي السنجري، فقه اللغة وآدابها، ص٨١، ٨٢، ط الشباب، القاهرة ١٩٢١م.

كان صفة من الصفات فهو قاسم بين الأخوة، وإن كان مالاً من الأموال اشترك فيه الورثة،وكل يتلقى أو ينتقل على هذه القاعدة[١].

من جملة ما سبق تبين أن معنى وراثة المتعددة تحتاج إلى ربط جميع طرقها فما هو هذا الربط؟

والجواب :

تعريف الوراثة:

الوراثة هي ما يصل الفرد على جهة التملك من الأصول الممتدة بحيث تكون طبقة ثابتة وطبيعة قائمة عرض لها الإدخال والتقاطع ولم تسلم من التباين طبقاً لفكرة المتنحى والسائد فى العلوم البيولوجية[٢].

ب) في الاصطلاح :

المعروف أن الاصطلاح هو اتفاق جماعة بذاتها فى علم من العلوم أو فن من الفنون على استعمال لفظ أو ألفاظ ذات دلالة محددة[٣].

والاصطلاح على هذا المعنى يتسع لجوانب كثيرة، ومن ثم فإنى التقط بعض التعريفات للوراثة، وأشير إلى الجانب الذى جاءت منه على النحو التالي:

---

(١) قاعدة التباين في الصفات مما يتحدث عنها التطوريون، لكنها ليست صحيحة من ناحيتهم، وإنما هي تخالف النتائج التي يريدونها.
راجع د. وليم بارت، الاتجاه التطوري وموقف الإحياء منه ص١١٣، ١١٤، ترجمة: عادل بيومي، ط٣، دار الوفاء ١٩٨٥م.

(٢) هذا التعريف مما أعانني الله على استخراجه للوراثة من الناحية اللغوية، فإن رأي غيري أفضل منه وأعانه الله عليه فليحمد الله تعالى؛ لأن ذلك من أقسامه جل علاه.

(٣) د. محسن السيد توفيق، قضية المصطلح في الفكر الإسلامي، ص٤٥، ٤٦، ط دار الشعب ١٩٨٥م، وراجع: السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، باب الهمزة، ص٣٨، ط الحلبي.

١ــ الوراثة هي القانون الذي يسمح بتبادل الجينات داخل الكائن الحى من غير أن يكون هناك تأثير سلبي[١].

وبالتالي فإن هذه الوراثة لا تعدل فى الكائن الحي، وإنما تتسلل إليه على محيط لا ينازعها منازع، ويعتقد الكثيرون أن الوراثة ذات تأثير إيجابى فى الكائنات الحية وعن طريقها يمكن التعديل فى الجينات حسب ما تدلى به الحقائق العلمية.

٢ــ الوراثة هي الناتج الرئيسي لكل العمليات الانتخابية داخل الفرد الواحد كما تسرى بين الأَصل والفرع، وكل واحد من الأفراد يمتلك خاصية التعامل مع الوراثة يستوى فى ذلك الإنسان والحيوان[٢].

وبناءً عليه، فإن الوراثة تحتم الانتقال من الأصول إلى الفروع من غير حاجة إلى فاعل مختار ولا إرادة حرة، إنها أقرب ما يكون إلى تيار الماء المندفع من أعلى إلى أسفل بحيث لا يكون هناك أمل فى التغيير أو التراجع، وهذا ينفى وجود الله تعالى الذى جعل الأسباب مقترنة بأسبابها لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى.

٣ــ الوراثة هي العامل الرئيسي الفعال في تنظيم الحياة داخل الأنواع المختلفة، بل داخل كل فرد من الأفراد على حدة، لأنها تتولى نقل صفات الفرد إلى

---

(١) د. جيمي فوتور، القوانين الإحيائية والدراسات العلمية، ص٨٥، ٨٦، ترجمة: عادل شوقي، ط٣ ١٩٩٥م.

(٢) د. محمد السيد حشمت، التطور الإحيائي ومشكلة الوراثة ص١٥٨، ط مكتبة الفؤاد ١٩٨١م.

نسله وكل الأفراد الذين يأتون من بعده وهى ناموس له أهميته فى البنـــاء الإحيائي[١].

وبناء عليه فإن الوراثة تكون هى الفاعل فى كافة الأفراد والأنواع ولا يكون فرد من الأفراد بحاجة إلى إله خالق وإنما بحاجة إلى فكرة الوراثة العميـــاء الصماء التى لا وجود لها فى الحقيقة، وإنما وجودها فى خيال القائلين بها.

وفى النواحى الإحيائية ما يؤكد أنها فكرة خيالية لا وجود لها اللهم إلا أن يكون المراد بها مقاومة الاتجاه الذى يسعى الى تأكيد ألوهية يسوع قد تم القبض عليه وصلبه وقتله وإخفاء القبر المهجور [٢].

لكن هذا لا يتفق مع النصوص الإسلامية التى نعتقدها وتؤكد عليهـــا أن الله نجى عيسى عليه السلام من أيدى القائلين وأنهم لم يتمكنوا منه لا قتلاً، ولا صلبًا، ولا حبسًا، ولا غير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَـــرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّـــهِ وَمَـــا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٣].

---

(١) روبرت تيكس، القانون التطوري وأثره في العلاقات الإنسانية، ص٨٣، ٨٤، ترجمة: ناهد شوقي، ط بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) التراث المسيحي فيه الكثير من قصة القبر المهجور أو القبر الفارغ الذي يزعم المسيحيون أن عيسى عليه السلام قد تم القبض عليه وتم صلبه وقتله وجاء رجل يدعى يوسف وأخذه وكفنه ودفنه في القبر المهجور، أو الفارغ ثم جاء أتباع يسوع ليلاً ونقلوه من هذا القبر وزعموا أن الآله اختطفه إلى السماء.
راجع: بولا هيمان، الأصولية اليهودية والتطورات المعرفية ص٨٥ ترجمة عبدالعاطي ناصر بيروت ١٩٧٤م.
وراجع: د. رشدي الشحات عبدالحميد زوين، عقيدة القيامة في المسيحية وموقف الإسلام منها حيث تعرض لفكرة القبر الفارغ أو المهجور.

(٣) سورة النساء: الآيتان (١٥٦)، (١٥٧).

في الآية الكريمة عطف بكفرهم، فاعتبر العطف لأجل ما بين اللفظين، ولأنه في مقام التهويل لأمر الكفر. وقوله: ﴿قَتَلُوهُ﴾ ، الواو فيه للحال، أي قولهم في ذلك حال أنهم قتلوه، وليبس خبرًا عن نفي القتل؛ لأنه لو كان خبرًا لاقتضى الحال تأكيده بمؤكدات قوية، ولكنه لما كان حالاً من فاعل القول المعطوف تفيد ثبوت كذبهم والذي يجب اتقاده بنص القرآن الكريم.

أن المسلح لم يقتل، ولم يصلب، وأن الله تعالى رفعه إليه ونجاه من طالبيه(١).

٤ــ أن الوراثة هي عصارة انتخاب طبيعى والتعبير الدقيق من البقاء للأصلح، وتتحدث بلغة علمية غير طبيعتها الذاتية، وكل الكائنات الإحيائية تشهد بأن الوراثة حقيقة علمية إحيائية أيضاً، وإلا فماذا تفسر عملية التطابق بين الفروع والأَصول التى تقوم عليها الشفرة الوراثية(٢).

غير أن هذا التعريف للوراثة لا يقدم المعطى الدلالى الذى ينهج فى مواجهة المصطلحات الأخرى، وذلك لأن فكرة الأَصلح قد برزت على أنها ضرب الخيال وليس فرضاً علمياً(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص١٩، ٢٠، ج٦.

(٢) رفعت علي شريف، علم الوراثة، ص١٨٧، ط٢، المكتب العلمي ١٩٨٥م، وأيضًا: د. تهاني محمود العتر، نظرية التطور العلمي، ص٥٧، ط الفجر الجديد ١٩٨٠م.

(٣) الفرض الخيالي هو الذي يقوم في عقل صاحبه، ولا يمكن التجريب عليه، أو التأكد من صدقه على أية ناحية علمية، وسمي خياليًا؛ لأنه ينشأ في خيال صاحبه دون أن يقدم دليلاً واحدًا على صدقه. راجع: د. محمود حسن الطويلة، الفروض العلمية واستحقاقاتها ص١١٦، ١١٧، ط النهر الخالد ١٩٩٣م.

كما أنها لا توجد لها مبررات علمية مقبولة بدليل أن الاحيائيين أنفسهم تنازلوا عنها وانتقدوها فى كثير من جوانبها التى ظن أصحابها استنادها إليها.

٥ـ الوراثة هي عملية إحيائية تقوم بها الجينات فتنتج الصفات المتميزة من الآباء للأبناء والأحفاد ومستخدمة البلازما التناسلية، وهي تنقل كل شيء دون تمييز وللأسف الشديد قد تنتج الصفات غير المتميزة وكما تنتج المميزة من حيث أنها تعمل على نقل الخريطة الجينية بشكل كامل(١).

وما دامت الوراثة تنقل الصفات من الأصلاب إلى الأرحام عن طريق البلازما التناسلية، فكان من الواجب أن يقتصر دورها على هذا الجانب، أما أن تمتد إلى البلازما الجسدية فهذا مما يؤكد عجزها عن فهم وجودها وعدم قدرتها على توظيف إمكانياتها.

والمعروف أن البلازما هى المادة الخام الأولى التى ينشأ عنها الكائن الحي، وتدور في أن

البلازما التناسلية هى الحيوانات المنوية التى يسلمها الأب للبويضة الأم ثم يختفى دورها بالنسبة لها(٢).

---

(١) د. تهاني محمود العطر، نظرية التطور العلمي، ص٥٨، ط٢، ١٩٨٠م.

(٢) يعتقد الكثيرون أن آدم عليه السلام أعطى حواء البلازما التناسلية فقط ثم أخذت هي على عاتقها تنمية تلك البلازما والتواصل معها ثم منحت البلازما الأولى الصبغات اللازمة عن طريق البلازما الجسدية، وانتهوا إلى أن الأب يعطى الأم البلازما التناسلية بينما تعطى الأم الجسدية ويكون كلاً من الأب والأم فى تصنيع هذا الكائن الجديد الناشئ عنها .
جيمس فيكر/ القوانين التطورية وعلاقاتها بالبلازما ص٤٥، ٤٦ ترجمة: بدوى السيد حسن ط٢ م النهر الخالد ١٩٩٣م .

ومن المؤكد أن فكرة الوراثة هنا قد لا تجد سندًا علميًا صحيحًا، لأن الذي يحمل في رحم الأم أيًا كانت تلك الأم وطبقًا لقوانين الوراثة، يجب أن يكون الناتج عنها مثلها أنثى ذات طبيعة خاصة، ولو أن ذلك حدث لما وجد على ظهر الأرض رجل إذ لا يوجد فى الوراثة حمل الرجال أو إنتاج أطفال من حمل رجال(١).

٦ــ الوراثة هي العملية الإحيائية التى يترتب عليها توارث سلالي بحيث يجئ العلم بذرية تختلف أو تتفق فى بعض الجوانب بما يحقق أهداف المجتمع ولا يطغى على مصلحة الفرد(٢).

من مجمل تلك التعاريف للوراثة بان لنا أنها تعمد إلى تفسير وجود الكائن الحي، وتحاول تقديم إجابات علمية لها نوع من القبول بالنسبة للإنسان المعاصر، لكنها لا تحقق تلك النتائج بحال من الأحوال وذلك لما يأتي:

١ــ إن ما اعتمدت عليه العقلية الإحيائية وهى تقدم مفاهيم للوراثة غاب عنها الأَصل الذى قامت عليه، وهو وجود الله تعالى القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾(٣).

---

(١) حاولت إحدى الجمعيات العلمية أن تبحث وسيلة عن طريقها تحمل الآباء من خلال أرحام يتم زرعها فى تجويفات بطونهم وتحققت المسألة، لكن الرجل الذي قبل أن يزرع له تجويف رحمه فى بطنه وقبل أن يحمل فضلات منوية لرجل وامرأة أدت الأدوية التي تعاطاها إلى هلاك خلاياه فمات خلال ثلاثة أشهر من قبوله التجربة عليه.
راجع: د. محمد السيد صبره، الأفكار الحديثة وخطورتها على الأديان القائمة ص١٨٢، ١٨٣ ط٢ المكتب العلمي ١٩٩٤، وراجع أيضًا: د. محمد حسين الغزالي، أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ص٤٨ ط ١، ١٩٩٦م.

(٢) راجع: فيكتور لاند، النزعة التطورية والإنسان المعاصر ص٤١، ٤٢ ترجمة: حسن صبرى ط٥ مكتبة المهتدى ١٩٨٤م.

(٣) سورة القمر: الآية (٤٩).

والقاعدة أن المخلوق هو الذى يغيب أما الخالق فهو صاحب الغيب والشهادة وهو فى كل حال الكبير المتعال، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنـزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾(١).

٢ــ إن هذه المفاهيم للوراثة غلب عليها قيامها على الجانب الإنشائي، وكان يجب أن تقوم على القاعدة العلمية في المنهج التجريبي(٢).

فإذا لم تقم على تلك القاعدة و المفاهيم التى دارت حولها ليست لها أصول علمية.

والمعروف أن البحث العلمى يجب أن يحتفظ بمقدماته الضرورية وأن يتم رعاية أحكام المصطلح من الناحية الوظيفية، باعتبار أن كل لفظ لغوى له جانب دلالى فإذا لم يوجد هذا الجانب الدلالى فإن المصطلح يفقد وجوده حتى بين من يملكون التعامل به(٣).

---

(١) سورة الرعد: الآيتان (٧)، (٨).

(٢) المنهج التجريبي هو الذي يخضع للملاحظة والتجربة وفرض الفروض، ثم يعمل على ملاحظة تلك القواعد وإعادة التطبيق بحيث تأتى كل النتائج على ناحية صحيحة فإذا لم ترد على تلك الناحية فإنها لا تكون نتيجة صحيحة بقدر ما تحسب على أنها نظرية أو فرض لم تثبت صحته.

راجع: د. عبدالحميد على المتولي، النظرية العلمية بين القانون والفرض دراسة فى بيولوجيا الإنسان ص١١٦، ١١٧ ط المكتبة العصرية ١٩٨٤.

(٣) هذه المسألة ركزت عليها الفلسفة العلمية حتى صار ذلك ضمن مناهجها الأساسية وكذلك نبهت إليها فلسفة العلم فى العصر الحديث.

راجع: د. حامد شوقى حسن، فلسفة العلم ودورها المعاصر، دراسة في علم المناهج ص١٣٩ ط مكتبة عدلي ١٩٨٥م.

٣ــ إن مفاهيم الوراثة على النحو الثابت تم إعدادها إعدادًا يشوبه نوع من القصور البنائي، ومرد ذلك عندى إلى قصور فى الجانب المعرفي بالنسبة لفكرة الوراثة الإحيائية على وجه الخصوص وربما يدعمنى فى ذلك الإحياء ذاته حيث يقرر (فيرجسون) أن فكرة الوراثة الإحيائية خيالية، لأنها تعطى ذات الواقع تحت التجربة سلطة الإنتاج، فكيف ساغ لهؤلاء الإحيائيين التردى بين الشك والهروب من شاطئ اليقين؟!![١].

وبناء عليه يكون مفهوم الوراثة طبقاً لما سلف من أهم نقاط الضعف فى المذهب التطوري، بل مدعاة إلى توجيه العديد من النقودات التى يمكن أن يكون لها دور بارز فى هدم النظرية التطورية كلها .

٤ــ أن ما نقل عن مفهوم الوراثة يفتقد إلى المعنى كما يفتقد سند الواقع من حيث أن الابن يرث عن أبيه أفضل صفاته وترث البنت عن أمها أفضل صفاتها، فمن أين جاء اختلاف النوع ؟!! ألا يدل على أن فكرة الوراثة من حيث البناء الاحيائي تفتقد الدقة بقدر ما تفتقد التجربة العملية[٢].

ولا يخفى أن الباحث العلمى قد يكون قادرًا على إصدار نقودات كثيرة بالنسبة للجانب الذى يتعامل معه لكن الحياء العلمى قد يفرض عليه السلبية والاستكانة، وهذا مما يؤدى إلى فساد الأخلاق وانحطاط القيم والتأخر الحضاري. وكلما بعد الإنسان عن شرع الله وقع فى نزغ الشيطان حينئذ يستند من نور الإيمان فيتردى بين الشك ولا يصل أبداً إلى اليقين.

---

(١) هنري فرجون، المشكلة الإحيائية، ترجمة: حسن صابر، ص٧٣، مكتبة الجيل ١٩٨٣م.

(٢) راجع: د. حسن شلبى، د. توفيق محمود الطويلة، منهج الإحيائي بين أنصاره وخصومه ص٨٧، ط الفجر الجديد .
وراجع أيضًا: د. سامي سيد نصر، التطور الإحيائى ومشكلاته المعاصرة ص٦١ ، مراجعة: د. حسن خيرى، المكتبة العصرية ١٩٩٥م.

والدين الحنيف علمنا أن نكون بعيدين كل البعد عن نزغ الشيطان يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(١).

إطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان استعارة شبه حدوث الوسوسة الشيطانية بنزع الإبرة. والمعنى: إن ألقى إليك الشيطان ما يخالف هذا الأمر بأن سول لك الأخذ بالمعاقبة أو سول لك ترك أمرهم بالمعروف غضبًا عليهم، أو بأسًا من هداهم، فاستعذ بالله منه ليدفع عنك حرجه، ويشرح صدرك لمحبة العمل بما أمرت به(٢).

كما دلت السُنَّة المطهرة على أن الشيطان لا يتوقف عن النزغ على الإنسان حتى يُضِله يدل على ذلك قوله ﷺ: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلقك فيقول الله فيقول: فمن خلق الله؟ فاذا وجد ذلك احدكم فليقرأ: آمنت بالله ورسله فان ذلك يذهب عنه"(٣).

وكلما استقر الإنسان على شاطئ الأمان وفقه الله تعالى لصحيح العقيدة وسليم العبادة وعالى الأخلاق.

ولا حول ولا قوة إلا بالله،،

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠٠).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص٢٣٠، ج١٠، ط الدار التونسية ١٩٨٤م.
(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٧١/٢٣، حديث رقم ٢٦٢٠٣، وابن أبي عاصم في السنة، باب ما ذكر عن النبي ﷺ أن الناس يسألون حتى يقولون: الله خلق كذا، الله خلق كذا فمن خلق الله؟ ١/ ٢٩٣ح٦٤٨، مسند الإمام أحمد بن حنبل.

الفصل الثاني

مبادئ الوراثــة ومناقشتها

يذهب التطوريون إلي أن مبادئ الوراثة إحيائية، بمعني أنها التي أحدثت نفسها وتطور ذاتها كما تعمل علي توريث تلك الصفات والسلالات وتعدل في نشأة الكائنات الحية.

وبناء عليه صارت طبيعتها جزءا ثابتاً فيها وهم يعتمدون فى هذا علـــى جملة من المفاهيم الثابتة فى عقولهم، ومن المهم بيان ان التطوريين يعتمـــدون على التحور فى الأفكار التى يعرضونها.

والتحور معناه: أن كافة السلالات والصفات التى تكون فى الكائن تقبـــل التعديل الذاتى والتحور الطبيعى بحيث يتفادى كافة الأخطاء المترتبة عليها.

وقد جاء هذا الفهم كنتيجة لما قام فى خاطرات أرازموس[١] التي أمكـــن التعرف عليها من قراءاته لأفكار زاموس.

كما ألمح إليها هكسلى واطلق عليه اسم التركيبات السلالية[٢]، لكن هناك مبادئ عامة لابد من التعامل بها من الناحية المنهجية تقوم فى عرض الفكرة عند

---

(١) إنجليزي المولد، مسيحي المعتقد، عاش ما بين ١٧٣٨ــ١٨٠٢م، درس علم اللاهوت، ثم غير اتجاهه والتحق بقسم العلوم الطبيعية.
راجع: د. خالد محمد فوزي، زعماء التطور، ص١٧، ط دار المنتصر ١٩٧١، دمشق.

(٢) يعتبر عامل التركيبات السلالية هو الذى نهضت على اكتافة فكرة الوراثة ومن ثـــم يمكـــن القول بأن أرازموس أخذها من زاموس، وأن هكسلى التقطها من ثنايا الانتخاب الطبيعي ثم عنها فكرة الوراثة بعد أن حورها إلى مارك ودفع إليها العامل الإعلامـــي دارون وبالتـــالي فهم جميعاً شركاء فى المسألة.

أصحابها أولا بقدر الاستطاعة ثم مناقشتها ثانيا مع إبداء وجهة النظر العلمية والشرعية، وهذا دور الباحث المسلم.

المبدأ الأول : ذاتية التحور داخل الصفات والسلالات.

المبدأ الثاني: إمكانية التحور والانتقال من الأدنى إلى الأعلى ثم العودة من ذات الطريق.

المبدأ الثالث: العمل على تفادى التدهور ولابد من استمرار الانتقال وهذا تفصيلاً لما أجمل.

(أ) عرضه:

المبدأ الأول ـ ذاتيه التحور :

يذهب الاحيائيون إلى أن التحور سلوك قائم فى الخلية فاعل بإرادته ينطلق منها معبراً عن ذاته أنه كائن متكامل يستطيع تقديم معادلات علميه إحيائية تحفظ كينونية الخلية(١).

ومادام التحور من ذاتيات الخلية، فأنه لا يتوقف بل يعمل دائما على أن تكون الصفات الثابتة فيه قادرة على الانتقال بسرعة فائقة وبتأثير قوى، وهذا في حد ذاته يؤكد أن الخلية فيها معمل يدور بحكمه واقتدار وأن كل جزئيه فيها قد أقامتها الطبيعة على هذا الشكل وليس بإمكانها أن تتراجع عن هذا الدور بل يعتقد الكثير من الاحيائيون. أن هذه النقطة لها من الثبات ما يجعلها قادرة على غزو غيرها، أنها تستطيع أن تقوم بدور المحافظة على الصفة المتوارثة داخل الخلية ثم تسلمها إلى الجهات الأخرى المسئولة عن حفظ السلالات وإعانتها على القيام بوظائفها(٢).

كذلك يعتقد التطوريون أن عملية التحور الذاتي لا تقف عند حد بعينه انها اكتسبت القوة التى تدفعها الى اختراق الحجب والموانع، بدليل أنها ما زالت

---

(١) جميس فيرز، المشكلة الإحيائية وأنا ٨١، ٨٢، ترجمة: بدوي السيد طلبه، مرجعة: د. حنان صالح، ط دار الجيل ١٩٩٥م.

(٢) باراندا جميس، التطور الإحيائي المشكلة والحلول ص٤١، ٤٢، ترجمة: عادل حسن، ط٢ النهر الخالد ١٩٨٧م.

تؤدى دورها الطبيعى رغم كثرة الاعتراضات التي وجهها إليها خصومها وكثره الانتقادات التى وضعها فى طريقها أعداؤها(١).

وما دامت عمليه التحرر ذاتيه، فإن مسألة الوراثة تكون من الأمور العادية، ولا تحتاج إلى شيء وراء البناء الخلوى بأى حال من الأحوال، لأن ذلك من طبيعتها وطبيعة الشيء ملازم له لا تنفصل عنه.

(ب) مناقشته:

من المؤكد أن التحرر الذى زعمه التطوريون من المفاهيم الغير محددة، وبالتالي فدلالته لا تكون صحيحة إذا تم استعمالها بالتطور الإحيائى بل يكون من الأفكار المهملة لدى المناطقة(٢).

وبناء عليه فأن فكره ذاتيه الوراثة لا تكون مقبولة من الناحية المنطقية ولا من الناحية التجريبية كما أن التطوريين لم يقدموا شاهداً أو دليلاً واحداً يمكن

---

(١) وليام سكوت، الفكر التطوري بين الأنصار والخصوم ص١١٥، ١١٦، ترجمة: خليل سيد طلبة، مراجعة: جمال حسن صابر، ط٣، الأندلس ١٩٩٥م.

(٢) يقسم المناطقة الألفاظ إلى مركبة ومفردة، ويقسمون المفردة الى مهملة ومستعملة، فاللفظ المهمل عند المناطقة هو لا يقدم فائدة يحسن السكوت عليها بالنسبة للمتكلم والسامع كلفظ (لجر) مقلوب (رجل)، أما الفظ المستعمل فهو الذي يؤدى إلى فائدة يحسن السكوت بالنسبة للمتكلم والسامع كأن نقول لفظ (صدق) و(رجل) وقسم المناطقة هذا اللفظ المستعمل إلى مفرد ومركب يقول العلامة الأخضري: مستعمل الألفاظ من حيث يوجد إما مركب وإما مفرد.
الشيخ عبد الرحمن الأخضر/ متن السلم المنورق فصل في مباحث الألفاظ ص ٥ ط الحلبي.
كما أن هذا اللفظ المهمل لا يرضى به أصحاب الفكر الوضعي الذين يقررون لأن الجملة التي لا يمكن التدريب عليها لا تعتبر جملة صادقة، وإنما هي جملة كاذبة.
راجع: د. محمود سعد الدين، الفكر الوضعي في ثوب المطر في فوزكى نجيب محمود ص٧٣ ط العربية ١٩٨٥.

الاعتماد عليه فى مسألة ذاتيه التحرر،بل أن التحرر احد الألفاظ المشتركة بين الكثير من المفاهيم، فهناك التحرر من الجهل، والتحرر من سيطرة النفس، والتحرر من سلطه الغرائز، بل التحرر من الإنسان الذى يتعرض بإيقاع الأذى لنفسه فإذا تم التعامل مع فكره التحرر على أنها ذاتية داخل الخلية، فمعناها وجود عناصر مشتركه بينها اشتباك كل يحاول الانتصار لكن عمليه التحرر تبدو فى صوره وهميه، أو هي أقرب إلى الأفكار الانتزاعية الخيالية(١).

ومن ثم فان فكرة التحرر القائمة فى الفكر التطورى ووصفها بالذاتية فيه إعلان عن هدم الفكرة من أساسها، وهذا من شأنه أن يضيف عبئا على أصحاب تلك العقلية يضاف إلى الأعباء الأخرى التى تفرض عليهم المراجعة العلمية المتكررة.

فليس من الصواب أن يتمسك المرء بالجهل بغية ان ينتصر الباطل وقد ذم القرآن الكريم الذين يعيشون على أفكار غير صحيحة ونعتهم بأنهم لا يعقلون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾(٢).

في هذه الآية المعطوفة زيادة تفظيع لحال أهل الشرك، فبعد أن أثبت لهم اتباعهم خطوات الشيطان فيما حرموا على أنفسهم من الطيبات، أعقب ذلك بذكر إعراضهم يدعوهم إلى إتباع ما أنزل الله(٣).

---

(١) قرر فريدن أن الفكرة التطورية منغلقة داخلية، إما هي فكرة تواجه قلقها الوجودي ولا حتى يستجيبوا لمجد الذين سلطوا الكلمة التي ملؤوا أوراقهم ضغطوا على القلق لكي فؤدي به إلى الهلكة.
راجع: جيمي فريدن، خطابا محكم التشريح ص٣٦، ٣٢ ترجمة: فؤاد زكريا مراجعة السيد يس، ط٢ الهيئة المصرية ١٩٨٣م.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧٠).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص١٠٦، ج٢، ط الدار التونسية ١٩٨٤م.

٢ــ رأى فكرة ذاتية التحرر تشف مفهوم وراثة من عمله وتأتى على الظروف جورها وذلك لأن التطوريين يعيشون على أفكار البقاء للأصلح وتنازع البقاء وكلها داعمة للقوى والعوامل.

فلماذا تكتسب الوراثة التحرر ويكون ذاتيا وهى فى الأصل لا تعرف الأصل ولا تعرف التحررية فلماذا جئ إليها بهذين المفهومين والمعروف ان الوراثة التى يقول بها التطوريون تتعلق بالجزء المادى من الخلية بينما فكرة التحرر والذاتية ليست مادية، إنما هي أفكار وليست مواد، فإذا تحولت المادة إلى فكرة لدى هؤلاء فمعناه أنهم ينكرون أن الحقائق ثابتة والقاعدة لدى المفكرين إن حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفطائين(١).

وبناءً عليه تكون فكرة ذاتية التحرر من الأفكار السوفطائية باعتبار الدلالة وليست من الأفكار التطورية باعتبار الواقع نظراً لوجود الفاصل الطويل بين ما يمكن اعتباره ملازما للتجربة، وما يمكن اعتباره مخالفا للحقيقة العملية.

٣ــ إن فكرة ذاتية التحرر تعتمد على الجدل، والجدل لا يأتى بخير مهما كانت صورته اللهم إذا كان مأموراً به فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

جاءت الآية بالنهي بصيغة الجمع ليشمل النبي ﷺ والمسلمين، إذ قد تعرض مجادلات مع أهل الكتاب في غير حضرة النبي ﷺ ، أو قبل قدومه المدينة(٣).

---

(١) راجع: الشيخ زين الدين قاسم، المسامرة في شرح المسايرة ص١٣، وراجع: الشيخ سليم السيد طلبة الحنفي، العقيدة الإسلامية ص٧٣، ط الشباب ١٩٢١م، وراجع أيضًا للأستاذ فيصل السيد صبري، السوفسطائيين ومشكلاتها التاريخية، ص٣٤، ط زكي العوضي ١٩٥٣م.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦، ٧، ج٢٢.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الجدل فقال: (دعوا المراء فإنه أهلك من كان قبلكم...)[١].

٤ـ أن ما يذكره التطوريون لا يتفق مع الأصول التطورية، بدليل أنهم لا يرون إمكانية إدخال التحرر والذاتية إلى المعمل والتجريب، فهل لديهم من الأدلة ما يؤكد أن التحرر والذاتية يمكن أن يكون من طبيعة الوراثة أم أنها مفردات خرجت من أصحابها دون أن يكون لها رصيد فى العقل الواعي؟!.

فى تقديري أنها ظنون وأوهام والله تعالى حذر من هؤلاء وأتباعهم قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾[٢].

المبدأ الثاني ـ إمكانية التحور:

(أ) عرض:

يذهب التطوريون إلى أن التحور والانتقال من طبيعة الوراثة، على أنها إذا حدثت لها مهاجمه من عناصر أخرى، فإنها تكمن حتى إذا تحولت من متنحية ووجدت الفرصة لتكون سائدة فإنها تنتقل من التنحى إلى المقابل.

يقول لوكانز: لقد عشت سنوات طويلة أبحث فى التطور ثم بان لى أن كل قاعدة من القواعد يجب ان تبقى قوية وان تكون هناك دعائم تنهض لها وانا تطورى حتى النخاع ولا استطيع أن أنكر الوراثة إلا إذا أنكرت وجودى نفسه[٣].

---

(١) سنن الإمام الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراء (٣٥٩/١ ح١٩٩٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١١٦).

(٣) جميس لوكانز، التطورية تسري في دمي ص٣٧، ٣٨، ترجمة: عادل فوزي، ط المنهل ١٩٨٥م.

وما دام هذا التطورى يعتقد أن الوراثة من طبيعتها التحـــور والانتقـــال فلابد أنها قطعت عددا من المراحل أو خطت جمله من الخطوات. لقد تحررت من كل قيد واستردت ذاتيتها ثم قفزت إلى إمكانية التحور والانتقال، وهذا مما يؤكـــد أنها ذات قدرة على ما نريد من حركة، وإنها فاعله بالإرادة مع أنها مجرد أفكـــار وليس لها وجود حقيقي، فمن أين استمد أصحابها هذا الفهم؟!

بل يعتقد المتأخرون من المتطورين أن كل ما يتعلق بـــالفكر التطـــورى يمتلك طبيعة قابله للتحور فى كل المراحل، وهذا التحـــور راجـــع إلـــى الصـــور التاريخية التى نقلها دارون أثناء مشاهداته وهو يجمع النباتات الطبيعية قبـــل أن يتحول إلى باحث أحيائى(١).

(ب) مناقشته:

مما لا شك فيه أن التحور يكون فيمن يملك عقلا واعيـــاً، ويمكنـــه أن يواجه المواقف فيرى أنه ليس بإمكانه أن يحرز تقدما فيلجأ الى عمليه التحـــور وشعاره عدوك لا تنم له وان كان نمله(٢).

---

(١) من الثابت أن دارون في مرحله من المراحل كان يجمع نباتات طبيعيه،ويقوم ببيعهـــا إلـــى المعامل وكان يعيش عليها، ومن الثابت أيضاً أنه أثناء جمعه لتلك النباتات شاهد قطيعا من الحيوانات (أبقار ــ خيول ــ أغنام) وأنه لاحظ أن حب البقاء كان يدفع الأقوى إلى الفـــوز والطلبة بالمأكل والمرعى، وأن الأضعف تحور ويمكن حتى يكـــون الأقـــوى فيصـــل إلـــى المرعى، وهى أفكار قد لا تجد لها سند في الواقع التاريخي.

راجع: د. عوض محمود سخلول، اثر نظرية التطور لإحياء بين القبول والرفض دراسة في سلوك الإنسان والحيوان ص ١١٤، ١١٥ ط القبو.

(٢) هذا الشعار مأخوذ من الحكم والأمثال العربية راجع للأستاذ محمد بك حفنى طلبه /الأمثـــال العامية والعربية – حرف العين ص ٢٠٣ ط الشباب القاهرة ١٩٣٧م .

وفى ذات الوقت فان التطوريين حينما زعموا ان قانون الوراثة يعتمد على التحور، فالانتقال معناه أنهم غيروا طبيعته وحولوه من مجرد متلقى مفعول به الى مستقبل فاعل وهذا مما ضاعف من العبء الملقى على عقولهم إذ كيف لهم أن يحولوا الشئ من طبيعته إلى ضدها، والمعروف علميا أن ذاتيه الشئ لا تنفصل عنه وبناء عليه يكون التطوريون قد اخفقوا فى إثبات عملية التحور والانتقال من الناحية الإحيائية(١).

وفى تقديري أن إمكانية التحور والانتقال تكون لدى عقل يدرك الاخطار ما يمكن أن يؤثر سلبا على نمط حياته حينئذ يلجأ إلى تفادى هذا الخطر ولا بد أن يكون قادرا على التعبير عن نفسه ويستخدم الوسائل المتاحه، وهذا لا ينطبق على الفكر التطورى، وانما يستمد وجوده من اراده الله تعالى وخلقه وعلمه وحكمته بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾(٢).

يجوز أن يكون الخلق بالمعنى الأخص وهو الخلق على شكل مخصوص، فهو بمعنى الجهل، أي الذي أعطى كل شيء من الموجودات شكله المختص به، فكونت بذلك الأجناس، والأنواع، والأصناف، والأشخاص من آثار ذلك الخلق.

والاستغراق المستفاد من "كل" عرفي هو استغراق على قصد التوزيع بمقابلة الأشياء بـ"الخلق"(٣).

قال العلامة النعيمى: إن الله تعالى أعطى كل مخلوق ما يعنيه على استمرار حياته وهداه الى توظيف ملكاته فراح ينتقل بها من حسن إلى أحسن،

---

(١) ليبل تك الجواب راجح: د. على السيد بكر، المذهب التطورى والمشكلات الجثيقص ٤٤، ٤٥ ط المعهد بالقاهرة ١٩٩٣م .

(٢) سورة طه: الآية (٤٩).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص٢٣٢، ٢٣٣، ج١٧.

ولو أن كل كائن التزم ما فطر عليه الشارع الى الحضاره يتقاسمها ويقدم فيها ما يرضى الله لآنه قام على ما جاء من عند الله[١].

ثم إن كل من خلق الله تعالى موجه إلى ما فيه هداه، فإذا استخدم هذا التوجيه تحقق له ما تمناه أما إذا انصرف عنه استولى عليه شيطانه فانه يهلكه بل يجعله بعيداً قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٢].

المبدأ الثالث ـ العمل على تفادى التدهور ولابد من استمرار الانتقال:

(أ) عرضه:

يعتقد التطوريون أن ذاتية التحول القائمة فى الصفات والسلالات المتوارثة تمنع من التدهور والانحلال، بمعنى أنها تجدد نفسها بنفسها وكلما حدث نوع من الخلل داخل الخلية فإنها تعيد بناءها طبقا لقانون الوراثة.

يقول بيكر: أنني اعتقد صحة ما يقوله أرازموس وداروبين ومن كان على شاكلتهما فى أن الخلية الإحيائية تملك ذاتيه التحور والانتقال المتكافئ كما يمكنها الدفاع عن نفسها والبعد عن التدهور بل التاريخ العام يشهد بهذا من الناحية الإحيائية على أقل تقدير[٣].

ونفس الفكرة يعرضها بيرس قائلاً: لقد كان فى الإمكان التعامل مع النظريات التطورية إذ لم يكن الفكر اللاهوتي قادرًا على تقديم الحلول الممكنة للمشكلات القائمة، لو أن كل باحث التزم الوضع العلمى لتأكد له أن التطوريين

---

(١) الشيخ محمود النعيمى السيد النعيمى / نظرات فى كتاب الله ص ٨٤-٨٥ ط مكتبه الهدى ١٩٥٤م .

(٢) سورة الفرقان: الآية (٤٣).

(٣) جورج بيكي، التطور الإحيائي ومشكلاته المعاصرة: دراسة في عقل الآخر لا في وعيه، ص٨٢، ترجمة: هانم شوقي، مراجعة: حسن فوزي، ط٣، مكتبة الغد العربي ١٩٩٣م.

يعتمدون المنهج العلمى فى كل المشكلات التى يتعرضون لها وهم الأقدر على تقديم الحلول المعقولة فى مواجهة أولئك الذين يعيشون على التخلف والرجعية ويعتقدون أن ذلك هو الذى يرضى الرب(١).

وفى نفس الوقت فان الكثير ممن يعتقدوا تلك الأفكار يرون إمكانية أن يحدث لها تطور داخلى يحول بينها وبين التدهور على أساس أن الخلية الحية تجرى فيها دماء تعبر عن الوراثة فى مفهومها الذى جرى القوم عليه دون الحاجة إلى شيء وراء هذه الأفكار.

فيقول سوفر: إنى لعلى يقين من أن خصوم التطور سوف يأتى يوم يعلنون فيه انهم أخطأوا طريق البحث العلمى حينما رفضوا الأفكار التطورية، وإذا كان العلم يقرر خلايا الجسم يحدث لها تجديد باستمرار وهم يقرون بذلك ولا ينكرونه وما الجسم إلا مجموعه من الخلايا الإحيائية فى كل واحد منها رغبه التحور والتحرر والبقاء بل والخلود، فلماذا يقبلون هذا وينكرون ما يقابله؟!(٢).

(ب) مناقشته :

إذا وضعنا فى الحسبان أن هذه النقطة تدور على إمكانية المحافظة على الخلية المتدهورة الانهيار فمعناه أن الإنسان يمكنه أن يعيش أمادا طويلة ما دامت الحياة مردها إلى المحافظة على الخلية الإحيائية دون أن ينالها شئ من التدهور والانهيار(٣).

---

(١) جيسي بيرس، الواقعية والتطورية من مفهوم تطوري ص١١٣، ترجمة: هادي حسن، مراجعة: السيد نوفل، ط٣ العهد الجديد ١٩٩٤م.

(٢) إدوار سوفر، الحركة العاقلة في التطور الإحيائي ص٧٣، ترجمة: هادي فوزي، مراجعة: صبحي حسن، ط٣، مطبعة الوفاء ١٩٩٥م.

(٣) هذه المسألة تدور على جانب بعيد عن الاتجاه البيولوجي والإحيائي بوجه عام، ولذا وقع لها العديد من جوانب النقد من أبرزها قام به المستر (جريفين شولتز) حيث يقرر أن قانون الوراثة الإحيائي مات قبل أن يولد. راجع: لفورس إسكندر، التطور الأحيائي بين المؤيدين والمعارضين ص١٢٥، ط٣، مكتبة النهضة ١٩٧٣م.

إذا كان الأمر كذلك فأن باستطاعة قانون الوراثة والانتخاب الطبيعى أن يحيا الإنسان قروناً طويلة دون أن يكون متأثرًا بعرض من الأعراض أو ينال منه أعداؤه التقليديون على أوسع تقدير.

١ــ أن الباحث المسلم يجد روح الإلحاد تسرى فى هذه الجوانب وذلك لآن الخلية مخلوقه لله تعالى القائل فى كتابه العزيز قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾(١).

وما دامت الخلية مخلوقه لله تعالى وبقدر ثابت عنده فان بقاءها وعدم بقائها يتساويان من حيث انها امور ممكنه وطبيعة الممكن ما يتساوى وجوده وعدمه طبقا للأحكام العقلية(٢).

وبناء عليه فان مناقشة هذا الجانب تؤدى إلى بيان ضلال أصحاب تلك الأفكار من الناحية العلمية وذلك لما يلي:

١- أن المقادير كلها تجرى بأمر الله تعالى يستوى فى ذلك الموت والحياة، الوجود والعدم لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

---

(١) سورة القصص: الآية (٦٨).

(٢) الأحكام العقلية ثلاثة، على سبيل الحصر:

الأول: الواجب وهو الثابت الموجود الذي لا يقبل العدم لذاته، وهو لله سبحانه وتعالى. راجع: للشيخ حسن سلطان، ملامح العقيدة الإسلامية ص٣٥.

الثاني: المستحيل وهو المعدوم الذي لا يقبل الوجود أبدًا بأي حال من الأحوال، وهو شريك الباري جل علاه، فإنه مستحيل معدوم معًا. راجع: الشيخ فوزي علي أبو طواله، الله جل علاه، ص٣٨، ٣٩، الشباب، القاهرة ١٩١٧م.

الثالث: الممكن وهو الذي يتساوى وجوده وعدمه، فإذا وجد فلابد له من موجد، وإذا عدم فلابد له من معدم، يطلق عليه اسم الجائز لهذا الاعتبار. راجع: الشيخ حسن بن سالم السفتي، قواعد المنطق السليم ص١٣، ١٤، المطبعة العصرية ١٩٣٧م.

(٣) سورة الملك: الآية (١).

قال العلماء إن الموت مقدر كالحياة تماما بتمام، والموت عدم فتكون الأعدام كلها مقدرة وهو اتجاه له ما يبرره في النصوص الشرعية(١).

وما دامت المسألة متعلقة بالخلايا ووجودها مقدر فى علم الله الأزلى فان ما يجرى فيها إنما هو من قضاء الله ولا شأن للخلية الميتة أو الحية فى شئ من ذلك؛ لأن من يقول به يخالف بديهيات العقول.

٢ــ أن الخلية طبقا لفكرة الوراثة لو أنها تحافظ على ذاتها المتدهور فلماذا يموت الناس حتى أصحاب التطور نفسه وقد ماتوا وصاروا ذكرى بعد أثر، فلو أنهم يضمنون البقاء لما ماتوا، بل ولحافظ كل منهم على خلاياه حتى لا تنهار.

وكل ذلك مما يؤكد إرادة الله تعالى وتمام قدرته ونفاذ علمه وحكمته، ومن يخالف يدخل فى غمار الجدل والخداع(٢).

٣ــ إن التاريخ العام يؤكد وقوع التدهور كقانون حيوى باعتبار أن العمر الزمنى للخلية له مراحل أربعة لا يمكن أن توجد فى غيرها على قانون التطور الإحيائى.

---

(١) راجع: للشيخ حسن علي بن صالح الحفني، تفسير سورة الملك ص١٣، ط دار السعادة ١٣٠٧هـ.

(٢) نشرت إحدى الصحف الأمريكية إعلاناً عن أطاله العمر في الإنسان إلى خمسمائة سنة تحت دعوة إنتاج دواء يطيل عمر الخلية إلى هذه المدة، وقد سارع إلى هذا الإعلان الكثيرون ممن يملكون المبالغ اللازمة لشرائه، وبعد أن تم استهلاك إنتاج المصنع أغلقته الشركة، وضاع على أولئك الحالمين كل ما دفعوا من أموال، وهكذا فعلت الشركة الأمريكية بأصحاب الأموال الذين أرادوا أطالة أعمارهم بناءً على أوهام كاذبة.
راجع: د. محمد الحسيني موسى الغزالي، في التيارات الفكرية المعاصرة، ص١٧٨، ط١٠، ٢٠١٠م، ط آل بسيوني.

المرحلة الأولى ـ مرحله النمو : وهى تمتاز بالبطء الشديد بدليل أن المراتب الجنينية الداخلة للجنين فى بطن الأم تبدأ من الماء الدافق المشار إليه فى قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾(١).

ثم المرحلة النطفية، ثم مرحلة العلقة ثم المضغة ثم التكوين العظمى ثم الخلق الآخر، وهذا كله مشار إليه فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾(٢).

قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل: المراد منه آدم عليه السلام، فآدم سل من الطين، وخلقت ذريته من ماء مهين، ثم جعلنا الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم، والإنسان شامل آدم عليه السلام ولولده(٣).

المرحلة الثانية: مرتبة الخروج من بطن الأم وتسمى المرحلة المهدية وبعدها مرحلة الشيخوخة والتدهور(٤).

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى هذا وذاك فى المرحلة الاعجازية، يدل عليها ظاهر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾(٥).

الضعف بضم الضاد في الآية هو أفصح لغة قريش، ويجوز في ضاده الفتح وهو لغة تميم.

---

(١) سورة الطارق: الآية (٥).
(٢) سورة المؤمنون: الآيات (١٢ : ١٤).
(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ص٨٥، ج٢٣، ط دار الفكر العربي، ط الأولى ١٩٨١م.
(٤) راجع: د. فوزي إسماعيل الطنبوني، خلق الإنسان من القرآن والطب: دراسة معاصره، ص٣٨، ٣٩، ط العهد الجديد ١٩٧٨م.
(٥) سورة الروم: الآية (٥٤).

والمعنى: أنه كما أنشأكم أطوارًا تبتدئ من الوهن وتنتهي إليه فكذلك ننشئكم بعد الموت. وتنكير "ضعف وقوة" للنوعية فـ"ضعف" المذكور ثانيًا هو عين ضعف المذكور أولاً، و"قوة" المذكورة ثانيًا هي عين "قوة المذكورة أولاً، وعطف "وشيبة" للإيماء إلى أن هذا الضعف لا قوة بعده، وأن بعده العدم(١).

٤ـ أن الإنسان في الشريعة الإلهية قائم داخل إطار زمنى عرف باسم زمن الخلية البيولوجية، وإذا كان فى المرحلة الأولى يكون نموها بطيئا فان فى المراحل الأخيرة يأتى انهيارها سريعا، وذلك لحكمة إلهية فهل استطاع التطورويون أن يوقفوا الخلية زمنا عن النمو أو الانهيار ؟!

الواقع يشهد أنهم لم يستطيعوا أن يوقفوا أشياء من ذلك.

ويبقى السؤال من الذى يملك هذا أو ذاك(٢).

بل أن الله تعالى تحدى جميع الخلائق لا أن يأتوا بواحد من البشر وإنما أن يأتوا بما التقطته ذبابة أو إصابته مهما كان هؤلاء أو أولئك بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾(٣).

وبناء عليه يكون الذى يحفظ الخلية وما قدر لها فى علم الله تعالى والذى ينهيها هو أجلها المقدر فى علم الله تعالى القائل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾(٤)، وقول جل شأنه: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٥)، إلى غير ذلك من النصوص الشرعية الدالة على تلك المراحل العمرية.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص١٢٨، ج٢٢.
(٢) هذا السؤال مشروع، وقد جاءت له ظواهر من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾، سورة لقمان: من الآية (١١).
(٣) سورة الحج: الآية (٧٣).
(٤) سورة الرعد: الآية (٣٨).
(٥) سورة الأعراف: الآية (٣٤).

الأجل يطلق على مدة الإمهال، ويطلق على الوقت المحدد به انتهاء الإمهال، ولا شك أنه وضع لأحد الأمرين ثم استعمل في الآخر على تأويل منتهى المدة، أو تأخير المنتهى. وشاع الاستعمالات فعلى الأول: يقال: قضي الأجل، أي المدة كما قال تعالى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾، وعلى الثاني يقال: "دنا فلان".

والواقع أن هذه الآية تصح للإستعمالين بأن يكون المراد بالأجل الأول المدة، والثاني الوقت المحدد لفعل ما[١].

٥ـ أن الشواهد الحياتية والآجال قاضية بفساد الفكر التطورى من ناحية أن الإنسان يعيش بالخلية وليس بأمر الله تعالى وهو لماذا يموت الصغار وقد يستمر الكبار، ولا توجد علة ظاهرة؟

وفى الحكم الجارية مجرى الآمثال يقولون[٢]:

تزود من التقوى فانك لا تدري ... إذا جن ليل أن تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار ترتجى طول أعمارهم ... وقد دخلوا جميعًا ظلمة القبر
وكم عروس زينوها لزوجها ... فماتوا جميعا ليلة القدر

وبهذا لا تكون حياه الإنسان مرهونة بالخلية، أنما مرهونة بقضاء الله تعالى وقدره، والمسلم دائما يسعى إلى الرضا بأقدار الله تعالى ومنها الحياه والموت على ما سبقت الاشارة إليه وليس على ما ذكره التطوريون وغيرهم.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص١٠٤، ج٩.
(٢) قصيدة للإمام الشافعي.

٦ــ دلت النصوص الشرعية على أن الإنسان يمكن أن يصاب بمــرض، أو داء، فجاءت الشريعة مبينة له الدواء، ومع هذا مؤكدة أن الدواء لا يطيل عمــرًا زمانيًا، وإنما يطيل عمرًا صحيًا[١].

من ذلك قوله ﷺ "تداوو عباد الله فإن الذي خلق الداء خلق الدواء"[٢].

ولم يجعل شرطا فى استمرار الصحة وإطالة العمر ودل على ذلك ان الخلية التى يتغنى الحديث عنها التطوريون إنما هى من خلق الله تعالى وتعمل طبقا للسنه الالهية التى بثها فى الكائنات كلها فتبارك الله أحسن الخالقين.

أضف إلى ما سبق أن عملية التدهور والمحافظة على الخلية لو كانــت ذاتية ما نصح التطوريون باستخدام الوسائل ومنها الدوائية التى تسبب الكثير من الامراض بجانب ما تعالجه من الضعف ولذا زعم التخصص لأنفسهم.

يقولون: إن الدواء إذا كان يعالج داءًا فإنما يخلفه داء، وتلك مشــكلتهم التي لم يستطيعوا الخروج منها[٣].

---

(١) الفرق بين العمر الزمني والعمر الصحي هو أن العمر الزمني مقدر في علم الله تعالى باعتبار أنه الأجل الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، وقال جل شأنه عن أجل الدنيا: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾، سورة الأنعام: الآية (٢).
أما الأجل الصحي فهو الذي يتمكن فيه الإنسان من ممارسه أعماله في الحياة مــن غيــر احتياج لاستخدام الرخص وكان الرسول ﷺ يدعو بالتمتع بالأجل الصحي فيقول ﷺ "اللهــم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا"، أخرجه الإمام الترمذي في سننه (كتاب الدعوات باب منه (٥/٥٢٨ح٣٥٠٢) حديث حسن.

(٢) حديث أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا انــزل لــه شــفاء (٢/١١٣٧) ح٣٤٣٦.

(٣) الحقيقة العلمية التي يقررها المعنيون بالصحة العامة بأن لكل داء له دواء وســلبيات ولا يوجد دواء كامل بعيدا عن السلبيات وإنما الآثار الناتجة عنه تكون أخف من الضرر الــذي يلحق به والقاسم المشترك ألا يوجد دواء لا يترك داء فسبحان من جعل الدواء المشــروع خلوا من الداء.

أما ما شرعه الله تعالى من دواء، فإنه لا يترك داء كالحال مع عسل النحل مثلا فان الله تعالى وضعه شفاء للناس، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[١].

جعل الشفاء مظروفًا في العسل على وجه الظرفية المجازية، وهي الملابسة للدلالة على تمكن ملابسة الشفاء إياه.

والمعنى: "أن الشفاء الذي أخبر عنه بوجوده في العسل ثابت"[٢].

حيث ثبت أن عسل النحل الذي لم تعبث به يد ولم تؤثر فيه إذا ما تم تعاطيه على النحو المشروع فانه يعالج كل داء يؤخذ له وقد دلت الأبحاث العلمية الحديثة على أن عسل النحل يعالج ما يربو على ستين ومائتين داء[٣].

ومن المؤكد أن الدواء الذى يأتى من عند الله تعالى لا تكون له أثار سلبية وليس له علاقة بإطالة زمن الخلية وإنما مهمته أن ينقذ متداوليه من الألم ويخفف عنه من شدته كما يعينه على التمتع بصحته حتى يكون إنسانا سويًا يواجه الحياة دون أن يقع فى طريق الوصول إلى القاع والمؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف رغم أنه فى كلا منهما خير.

---

(١) سورة النحل: الآيات (٦٨)، (٦٩).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص٢٠٩، ٢١٠، ج١٥.

(٣) د. محمد السيد شعبان، عسل النحل دواء بلا داء، ص٣٨، ٣٩، ط المكتب العلمي الحديث ١٩٩٨م.

الفصل الثالث

نتائج الوراثة ومناقشتها

فطر الله الإنسان على السعى لما فيه فائدة ، وصار ذلك من دلائل الفطره التى فطر الله الناس عليها، واعنى بها طلب الحق والتمسك به والانتصار لما فيه مصالح الدنيا والآخره باعتبار ان الشريعة (ما جاءت إلا لمصالح العباد فى العاجل والآجل)[١].

ومن المؤكد أن اتجاه القول من التطوريين إلى الوراثة بغرض الوصول الى نتائج اعتبروها صحيحه من وجهه نظرهم، لكن الباحث المنصف يجد أن هذه النتائج تحتاج العرض والمراجعه على كافه الجوانب الفكريه ، لأن الباحث ليس مجرد ناقل أو عارض، وإنما هو موازن وناقد بغرض أن يحقق العلاقه المشروعه بين المقدمات والنتائج[٢].

ولا يغربن عن ذى بال أن النتائج الوراثية أو التي علقوا عليها الأهمية الكبرى يمكن التماسها فيما نقل عنهم ومناقشتها طبقا لما تدلى به النصوص الشرعيه واستقر فى عقيدة المؤمن وبرز فى الناحية الفكرية أو الفطرية.

---

(١) الشيخ إبراهيم الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج٢، وراجع: الشيخ عبدالله دراز ص١٤، ط الأسرة، القاهرة ٢٠٠٩م.

(٢) العلاقة المشروعة المراد بها هنا أن تكون المقدمات صحيحة، والنتائج القائمة فيها صحيحة، حينئذ يكون البحث العلمي قد استوفى جوانبه، وحقق من النتائج ما يرجو.
راجع: د. حسن السيد سليمان أبو حويله، مناهج البحث وأثرها في التقدم الحضاري ص٣١، ط٢، مكتبة المهند ١٩٨٥م.

ويكون ذلك على النحو التالي:

النتيجة الأولى:

(أ) عرضها :

١ــ أن الوراثة نتج عنها ناموس هذا الناموس تقوم عليه النتائج المترتبة بحيث تسيطر فكرة التطور الاحيائى على الانظمة الفكرية المختلفة ويمكن ضبط هذه النتيجة فى وضع ناموس الوراثة قانون عام(١).

٢ــ أن هذه النتيجة القائمة على فكرة الناموس الوراثى وسيطرته وهذا بدوره يؤدى إلى أن أعمدة التغاير من الأنواع تدور فى الميل الداخلى القائم فى كل كائن حى على حده(٢).

٣ــ إذا كان قانون الناموس الاحيائى تنتج عنه جملة تبلبلات كلها ترتد إليه فى المراد إلا صفحة الحقاء الوعى من السلف واعتبار قانون الوراثة هو العالى القانونى بخطة

أن الحقاء الوعى وغيره قد هجم كثيرا من خصوم الفكر التطورى وتلت اعتطبت منه ما تلت.

(ب) مناقشتها:

الواضح أن هذه النتيجة لم تسلم من النقودات العلمية الإحيائية ، كما لم تسلم من أنصار فكر الناموس نفسه وأعني بها إعتبار الناموس الإحيائى قاعدة

---

(١) د. محمود السيد رفعت، التطور الأحيائي وقانون الوراثة ص١٦٥، ط٢ مطبعة الحق ١٩٨١م.

(٢) راجع: د. محمود صبري حسن طلبه، المشكلة الأحيائية والفكر المعاصر ص٣٥، ٣٦، ط٢، ط الفجر الجديد ١٩٩٣م.

تطبق على سائر الكائنات الحية وهى فكرة خاطئة ، ويظهر ما فيها من خطأ طبقا لما يأتي:

١ــ أن الناموس الطبيعي غير الناموس الاحيائى غير الناموس الفكري من حيث أن الناموس اسم يشمل ما هو في نطاق القاعدة العامة، لكن هل صحيح من ناحية المفهوم إذا ما طبق على الوراثة؟

والجواب أن المفهوم يتغير بتغير الورود ، ويدل عليه أن سيدنا محمد ﷺ حينما جاءه الوحي أول مره ورجع إلى بيته يرتجف ويقول: (زملوني ـــ زملوني)(١).

فلما حكت زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها لابن عمها ورقه بن نوفل كان من الحنفاء قال والله أن ما حكاه محمد هو الناموس الذي جاء به الأنبياء والمرسلين من قبله(٢).

ومن ثم فكلمة الناموس هنا أطلقت على الوحي الذي جاء الأنبياء من قبل سيدنا محمد ﷺ ثم جاء سيدنا محمد ﷺ أيضًا.

٢ــ كذلك وردت كلمة الناموس فى العهد القديم، فيذكر ليوتاكسل أن أنبياء العهد القديم زعموا مجئ الناموس إليهم من خلال ياهو العجوز الذى اخفى كل شئ فى لحظة غضبه عن شعب اسرائيل(٣).

---

(١) راجع: العلامة السهيلي، الروض الأنف، ج١ ص٢٠٨، وراجع: الإمام السيوطي، الخصائص النبوية الكبرى، ج١، ص٦٨.

(٢) حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٧ح٣) مطولاً.

(٣) ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٦٨، ترجمة: حسانين ميخائيل، مطبعة الأسد، سوريا ١٩٩٨م.

وبناء عليه تكون كلمة الناموس فى الفكر اليهودى دالة على تصرفات الرب مع الشعب اليهودي.

فإذا انتقلنا إلى الناموس في الفكر الاحيائى لم يصب هدفا، وذلك لأن الناموس لديهم هو القاعدة العامة فى الوراثة دون غيرها، وهذا مما شجع بولف على نقد الفكرة من أساسها حيث يقول: لقد حاول الإحيائيون الذين يرفضون الدين أن يستخدموا مصطلحات لاهوتية، ومنها الناموس بغرض الخروج من أزمة الهرطقة وأبعاد أنفسهم عن ساحه الاتهام بالتصرفات التى تغرق القائل بها فى أتون الجحيم(١).

٣ــ أن الناموس الذي يتحدثون عنه لا يمثل نتيجة صحيحة، وذلك لأن القوم اعترفوا بالتباين الظاهرى فى الأنواع والأفراد، وهذا يصحبه تباين فى العرضيات وهو ما يعرف فى القوانين العلمية بالاستثناء المعرفى، فإذا كان الناموس هو القاعدة التى لا تنخرم والتطوريون يعتقدون وجود الاستثناءات، فقد هدموا المعبد الذى بنوه فوق رؤوسهم من حيث أن الاستثنائات غالبا ما تكون نادرة، أما أن تبلغ حد الكثره فذلك مما ينفى وجود القانون الاحيائى من أصله.

وقد نهى القرآن الكريم على هؤلاء وأمثالهم فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾(٢).

---

(١) راجع: ويلم بولف، الدين والعلم والمشكلات النفسية، ص١٠٦، ١٠٧، ترجمة: باسم جورج، ط٣، م الكنيسة الأرزوكسية ١٩٨٥م.

(٢) سورة النحل: الآية (٩٢).

٤ــ أن التطور يقوم أساسا على القفزات المتلاحقه وإلا لم يكن تطورًا[١].

وبهذا لا تكون فكرة الناموس مقبولة طالما أن الأصول التى قامت عليها لا يمكن الدفاع عنها ويعتبر الحديث عن تلك النتيجة من قبيل حديث الخرافه.

النتيجة الثانية:

التحول من العرضى إلى الجوهرى يذهب التطوريون إلى أن الناتج عن التطور هو جمع الاختلافات الجوهرية ووضعهم فى اطارها والتحول بها من العرضية إلى الجوهرية.

يقول الدكتور البكر "لقد حرص التطوريون على أن يستنتجوا من قانون الوراثة جملة نتائج إحيائية أهمها الانتقال من الاختلافات الى التوافق، ومن العرضيات إلى الجوهريات وقد حققوا فى ذلك نتائج متوقعة لكنها لم تنل القبول من خصومها لإعتبارات لديهم[٢].

ولا يستطيع الاحيائيون أن يتمسكوا بالفكر التطورى اللهم إلا إذا أخذوا فى حسبانهم التحرر من العرضيات، ثم الانطلاق بها الى الجوهرية بدل العرضية، بحيث يستمر ذلك فى التنامى، ويؤكدون أيضا أن هذه الجوانب القائمة على

---

(١) التطور والانتقال المباشر، أو غير المباشر، والتحول من صورة إلى أخرى، ومن حدث إلى غيره. وبناءً عليه فإن مفهوم التطور يهدم فكره الناموس؛ لأن فيه جمعًا بين النقيضين، ومحال في لسان العقل الواعي.
راجع: د. فوزي حسن خليل، قوانين الفكر وأثرها في الفلسفة المعاصرة ص٨٥، ٨٦، ط٣، مكتبة العهد الجديد ٢٠٠٥م.

(٢) د. محمود علي البكر، قوانين الوراثة الاتفاق والاختلاف ص٩١، ٩٢، م العصرية ١٩٩٨م.

التباين ليست عارضة باعتبار أصل، وإنما هي ثابتة وإن لم يكن البحث العلمى قد بلغها[١].

(ب) المناقشة:

١ــ من الواضح أن الاختلافات التى يتحدثون عنها تبدأ بسيطة ثم تخضع لتوالى الأزمنة، وكلما مرت عليها حقبة من الزمان ازدادت الصفات العرضية تأصلا فى الكائن الحى حتى إذا انتهت كانت المباينة، مع أنها فى الأصل كانت نوعا واحدا، فعلى أي أساس وقع هذا التباين هل هو ذاتى أم عرضى، وهل هو مقبول أم غير مقبول؟[٢].

٢ــ أن الفكرة التي ركزوا عليها وهى اجتماع الاختلافات الجوهرية بدل العرضية لا تنطبق على الكائن الحي، وإنما تنطبق على الذى يقوم بالمراقبة، وهو الذي يتولد في عقله هذه التباينات وليس الأمر كذلك.

يذكر الأستاذ باشمل أن التطوريين يعولون على ندرة الرأى إلى المسألة المعروضة فى الوراثة لا على حقيقة الكائن الحى بمعنى أن هذا الاختلاف الذى أخذ فى التباعد لم يكن وليد يوم وليلة بحيث يحدث وقوعه نوعا من الخلل أو الاضطراب الذى يمكن مراقبته، ومن ثم فإن الرأى للأصل والفرع قد يظنهما نوعين مستقلين بينما هما معا أصل واحد[٣].

وبناء عليه فان هذه النتيجة لم تسلم لأصحابها، ولم تحتمل النقودات الموجهة إليها، كما أن امكانيات التغير التى يتحدثون عنها قائمة على الآلية

---

(١) راجع: د. محمود سلطان، الاتجاهات العصرية والتطورات الاحيائية ص١١٢، ١١٣، ط٢، ط المهندس ٢٠٠٥م.

(٢) راجع: أ.ب واطسن، التطور الجيني ص١٣٥، ترجمة: وفاء صالح فؤاد ١٩٩٥م.

(٣) الأستاذ محمد أحمد باشمل، الإسلام ونظرية دارون ص٤٥.

والمظاهر الخارجية فى الكائن العضوى إلا أنها لا تتفق أبدا مع ذى الخلية الواحدة، وأقرب ما يقال فى مناقشتها أنها تفسير يعرض الوراثة ولا يعرض حقيقة الوراثة، وهذا بدوره يؤدى الى ضرورة التخلى عنها وصرف النظر عما يقوم فيها.

النتيجة الثالثة:

هيولى الخلية:

يعتقد التطوريون أن المعتمد فى الوراثة هو التقدير المثالى لهيولى الخلية، ويعنون بها مادتها الأصلية حتى اذا وقعت فى دائرة التقسيم غير المباشر فان قانون الوراثة أو قاعدة الوراثة تحتمى بها، ويعتبر وجودها ضرورى من الناحية العلمية(١).

والسؤال الآن إذا كانت هيولى الخلية وهى المادة لأصلية وقعت فى دائرة التقسيم، فما هى القيمة التى يمكن أن تحققها وهى ترجع للخلف ولا تتقدم للأمام؟

كما أن التطوريين يتمسكون بضرورة استبقاء المادة الأساسية للخلية (الهيولى) فى وضع ثابت والسؤال هو كيف تبقى فى وضع ثابت لا تتطور، وأن تتحرر أنماطها وأن تسلم مستلزمات قانون الوراثة؟(٢).

ربما اعتقد التطوريون أن مادة الخلية فى حالة ثباتها تحفظ الصورة المثلى للكائنات قبل أن تقع عليها العمليات الإحيائية، فتكون بمثابة الصندوق الذى يحتفظ بالمتاع التليد حتى وان لم يكن ذا قيمة.

---

(١) أ.ب واطسن، التطور الجيني ص١٣٧، ترجمة: وفاء صالح.

(٢) د. صبحي حسن سليمان، قانون الوراثة وأثره في العمليات الأحيائية، ج١، ص٨٧، ط١، م الفجر الجديد ٢٠١٠م.

وهذه المسألة نبه إليها الكثيرون من الباحثين حيث يقررون أن الكائنات التى يقع عليها اسم الأنماط الاحيائية ليس لديها الاستعداد لرفض نمط الإحياء مهما كان شاملا، وإنما الذي يقوم بالقبول أو الرفض هو الطبيعة أو البيئة بناء على سبيل الوراثة الثابتة وقواعدها ولا يخرج هذا الفهم لهيولى هذه الخلية عن وقوعه فى دائره جمله من العوامل الداخليه للنظريه الإحيائية وتفسيرها بها حتى ولو كانت تفسيرات غير مقبولة(١).

ويذهب الباحثون إلى أن العوامل ذات التأثير فى النظرية الإحيائية التى دفعت التطوريين إلى التمسك بمادة الخلية يدور فى أحد إطارين، الإطار الداخلي للنظر من الإحيائيين ويتبلور في:

١ــ التوارث.

٢ــ الاختلاف.

٣ــ التكاثر.

٤ــ التكوين.

أما العوامل الخارجية فهى تتمثل فى مجموعة الظروف البيئية على أقل تقدير(٢). ومادامت العوامل الداخلية والخارجية هى التى تدور بين حناياها تلك الأفكار ومناسب القول بضرورة توجيه النقد إليها حتى لا يعتقد الأغيار فى صحتها، أو يسلمها بأنها نتيجة صحيحة علميا مع أنها ليست كذلك.

---

(١) راجع: د. حسن سليم السعدني، قانون الوراثة الأحيائية في الفكر المعاصر، ص٦٨، ٩٩، ط الفتح ١٩٨٥م.

(٢) د. سليم حسن المصري، الوراثة والأحياء والعقل المعرفي، ص١٣٥، ١٣٦، ط الفؤاد ٢٠٠٥م.

(ب) المناقشة:

١ــ من المؤكد أن حديث التطوريين عن هيولى الخلية والتقسيم غير المباشر والسعى نحو الأمام بدل التدهور للخلف وفيه إيحاء بأن الخلية حية عاقلة تحدث أنواعا عديدة من التغيرات ذاتيا، وهذا له من الخطورة ما لايخفى، باعتبار أن كل شىء فى الكون مسجل فى علم الله تعالى، ولا يستطيع إنسان ما أن ينكرها.

وبناء عليه تكون عمليات التوارث من الإنسان وأفراده فى الصفات العرضية ليست مقبولة(١).

من البين أن الجهود التى تدور فى المادة الصماء الممثلة لهيولى الخلية ليست عشوائية، وإنما قصدية، واذا سلمنا بأنها قصدية فمعناه أن كل ما يدور فيها من تدبير العزيز الحكيم اذ لايعقل أن يكون النظام القائم فيها من تدبير نفسها وإلا كانت فاعلا ومنفعلا ومفعولا فى وقت واحد وهذا ما لم يقل به عاقل نظرا لمخالفه القواعد الفكرية الأساسية التى تضبط أنماط الحياة اليومية(٢).

---

(١) راجع: واطسن هيلاف، الكائنات الحية بين الحتمية والاستثناء ص٢١٥، ترجمة: رضا فوزي، ط١ ١٩٩٨م.

(٢) إذا افترضنا أن الخلية الهيولامية، أو هيولى الخلية هي حركة ذاتية غير معلومة المصدر، فمعناه وجود حركة لم يعرف لها أصل، وفاقد الشيء لا يعطيه وبناء عليه لابد أن تكون هناك احتمالات ثلاثة، الأول: أن تكون الحركة من فعل الله تعالى وهى الخلية ومن طبيعتها الكمون على أن ذلك من السنن الإلهية، الاحتمال الثاني: أن لا تكون فيها حركة أصلا، وإنما التطوريون هم الذين نسبوا إليها الحركة حتى تتحقق لهم غاياتهم التي لم يقم دليل عليها وهذا معناه أنهم مخادعون.

٢ــ إن المادة الأصلية فى الخلية من الناحية الإحيائية ليست مضطردة بمعنى أن قوانين الوراثة تقرر أن توارث الصفات المكتسبة ليس مضطردا بدليل ظهور كائنات حية أحادية الخلية عن طريق الطفرة الفجائية ولا علاقة لها بالأصل التى كانت عليه(١).

٣ــ أنها تسير كالسفينة الوحيدة فى محيط لا نهاية له ومع ذلك تظل آخذة فى إخراج سفن من جعبتها انقطعت صلتها بالأصل تمامًا(٢).

ولا شك أن هذه المسألة لا تستقيم على الناحية الإحيائية وإنما تعلن أن قوانين الوراثة غير قابله للتطبيق وتعتمد اعتمادا كليا على الخيال وليس على التطبيق العلمي.

٤ــ ذكر أهل العلم من الاحيائين وجود حقيقة مدهشه إلى ابعد مدى تلقى بعض الضوء على لغز الخلق الجديد وهذه الحقيقة مردها إلى أن الخلايا الحيوية فى المراحل الأولى من تطورها إذا تطرقت صار لكل واحد منها القدرة على خلق حيوان كامل وإذا انقسمت الخلية الحيوية إلى قسمين وتفرق هذان القسمان نتج عنهما فردان لا محالة(٣).

الاحتمال الثالث : أن تكون سنه الله قد جرت فى تحرك الخلية على صوره غير مرئية وكلما مر عليها الزمن أخذت فى الظهور وهذا يدل على أن الفاعل هو قدره الله تعالى وليس الفاعل هو التطور أو قانون الوراثة والاحتمالات كلها داله على حقيقة أساسية وهى ان الفعل من الله والخلق والتدبير من عنده جل علاه.

(١) محمد احمد بشمل، الإسلام ونظريه دارون ص ١٠٧.

(٢) واتسن هيلاف/الكائنات الحية بين الحتمية والاستثناء ص٢١٥ ترجمه رضا فوزى ط ١٩٨٧م.

(٣) هنري برجسون، التطور الخالق ص٢٣٧، ترجمة: محمد محمود قاسم، ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م، وراجع: لكيرسي موريون، العلم يدعو للإيمان ص١٢٦.

ومن ثم فان القول بان قانون الوراثة أنتج فكرة هيولى الخلية لـم يكـن إلا حديثا بعيدا عن قواعد العلم المعملى الإحيائى والتجريبى أيضًا.

ويقرر تلك النتيجة علم الأحياء حيث يذكر أن الوراثة فى النباتات تحملها أنوية الخلايا وفى الحيوان والإنسان يحملها جزء الحمض النووى (DNA) فقـد أمكن بناء جزئيات الـ (DNA) حسب الطلب بدليل أن (خورانا) تمكن من إنتاج جين صناعى وأدخله إلى بكتريا صناعية عام ١٩٧٩[١].

أما الآن فقد ظهرت الأنظمة المعملية محتفظة بنظم جينية يمكن برمجتها لإنتاج شريط قصير من الـ (DNA) يحتوى على جزئيات متعددة يمكن أن تفيـد البحث العلمى وبخاصة تجارب تخليق البروتين كما استطاع البحث العلمـى فـى مجال الهندسة الوراثية أن يقدم الجديد.

وبناء عليه فيما حكاه التطوريون حول هيولى الخلية يهدم فكرةالتوازن الحيوى وذلك لأن التطوريين يفترضون على قيام الوراثة على انتقـال الصـفات والتنازع يربطونه بالبقاء ثم يعجزون عن تقديم تفسير معقول للتوازن الحيوي[٢].

وأعتقد أن المضي قدمًا في مناقشة النتائج التى قال بها التطوريون ربما امتدت وغطت العديد من الصفحات وربما أخرجت البحث عن غايته فسأكتفى بما ذكرت.

لكن تبقى مسالتان أرى ضرورة التركيز عليهما فى هذا المجال.

---

(١) د. رفعت شريف، علم الوراثة في الكائنات الحية ص١٩٩.

(٢) فكرة التوازن الحيوي تقوم على أن كل كائنات مهما كانت ضعيفة، فإنها تعمل على التكاثر على الوضع الطبيعي التي كان لها، بل وتعمل على تطوير ذاتها لتقدم الجديـد فـي هـذا المجال.

راجع: سلامة ميتس، نظرية التطور وأصل الإنسان ص٢٦.

أما الأولى، شرعية؛ والثانية ــ معرفيه:

أما الأولى ــ الشرعية:

فهي أن كل ما يجرى فى الكون مقدر فى علم الله تعالى الأزلي على ناحية الحكمة الإلهية والمعروف إن الحكمة الإلهية هى العلم الصحيح والعمل بمقتضاه(١). وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء﴾(٢).

الحكمة هي "إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم"(٣).

وكل ما يرد على هذه المسألة الشرعية يجب أن يؤخذ فى إطارها فالله تعالى هو الخالق للكل وهو المقدر له لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٤).

وفى ذات الوقت فان كل ما يتعلق بالأصناف والأنواع حسب تصوراتنا مسجل فى علم الله الأزلى عن طريق الكتابة المستدل عليها للقضاء والتنفيذ المستدل عليه بالقدر، يستوي في ذلك الذكر والأنثى الصغير والكبير الصحيح والسقيم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض يدل عليه ما روى أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال:(قدر الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة)(٥).

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالي، المقصد الأسمي، شرح أسماء الله الحسنى ص١٦٨، اسم الله الحكيم.

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص٦١، ج٣، ط الدار التونسية ١٩٨٤م.

(٤) سورة القمر: الآية (٤٩).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج دم وموسى عليهما السلام (٤/٢٠٤٤ ح٢٦٥٣).

ولابد أن يكون الإنسان العاقل واقفا عند هذا الطور الذى دلت عليه النصوص الشرعية ولا يدخل عقله فى أمور ليس مهيئ لها حتى لا يضل او يشقى.

وفى الحديث يقول الرسول ﷺ (اتبعوا ولا تبتدعوا..)(١).

وينهى الرسول ﷺ عن التقليد الأعمى وتردي الأفكار التى لا تقوم على أصل صحيح. يقول الرسول ﷺ (لا تكونوإمعه..)(٢).

الثانية ـ المسألة المعرفية:

وهى تدور في أن العقل السليم ينتج المعرفة الصحيحة ويستقبلها ومعيار المعرفة الصحيحة أن تكون قابله للتجريب عليها ويكون مصدرها الوحى الإلهى أو أن تكون برهانية كالحال مع المسائل الرياضية أما إذا خلت من هذا وذاك فإنها تدخل فى المجال النظري.

والمعروف إن النظريات العلمية ماهى إلا فروض ما تزال فى البحث عنها ولم تصل بعد درجه القانون العلمى(٣).

وبناء عليه فإن المعرفة تستلزم أن تكون القضايا المعروضة داخلة فى هذا النطاق بحيث تنال الصحة والصدق فإن خلت عن تلك الجوانب لم تنل الصحة ولم يقع لأحد بها تصديق.

---

(١) أخرجه أحمد بن حمبل في الزهد (١ـ١٣٤ ح٨٩٦)، واللفظ له والدرامي في سننه في المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي (١ـ٢٨٨ح٢١١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب العفو والإحسان (٣ـ٤٣٢ ح٢٠٠٧)، وقال: حديث حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف.

(٣) دكتور صالح حسن أبو صالح/ القوانين العلمية بين الحتمية والنظرية ص١٨٥ ط٣ طبعة الفؤاد ١٩٩٨، وراجع دكتور على حسن مصطفى القوانين العلمية والضرورة المعرفية ص٨١، ١٩٨٤م.

وفى تقديري أن قانون الوراثة أو مشكلة الوراثة التى قال بها الإحيائيون تفتقر القبول الشرعى نظرا لخروجها عليه كما تفتقد القبول المعرفى نظرا لبعدها عن قواعده العلمية.

والله تعالى اسأل ان يوفق للصواب فما ذلك على الله بعزيز.

الخاتمة

من المعلوم في الدراسات العلمية أن المقدمة تمثل التلخيص لأهم فصول الكتاب ومباحثه ثم تأتى الخاتمة لتحمل المجمل لما يمكن اعتباره التلخيص الوافي لنتائج البحث بحيث تتكامل المقدمة مع الخاتمة، وهذا من شأنه الإسراع لوتيرة البحث العلمي وتوفير الأنماط المعرفية، ومن ثم فان الخاتمة تشتمل على أمور ثلاثة:

الأول ـ أهم النتائج:

١ـ أن الفكر الفلسفي في الإطار العام قد يقدم جديدا ،لكنه ليس محمودا كله، وإنما فيه المقبول والمردود، وقد يغلب المقبول على المرفوض كالحال مع

أفكار التطوريين والقواعد التي انطلقوا منها، والنتائج التي يزعمونها وبخاصة أنها تمس العقيدة الإلهية ويجب التصدي لها فذلك واجب المسلم لا محالة.

٢ــ أن الدراسات الفلسفية تعتمد على العقل الذي قد يتخذ طرائق بعيداً عن نور الوحي، والمعلوم أن نور الوحي هو الهادي للعقل، فإذا ترك العقل هاديه ضل وغوى والمعلوم أن أهل الضلالة غالبا ما يأتيهم ضلالهم عن طريق عقولهم وهو المعبر عنه في لسان الشرع بالهوى.

٣ــ أن قانون الوراثة الاحيائى اعتمد على الصور التي يتناقلها الناس من خلال معلوماتهم المتواضعة وهو الجانب النظري ثم تم فرض هذا الجانب على النتائج تحسبها الباحثون نتائج علمية، بينما هي في الحقيقة حكايات خيالية ومما يؤكد تلك الفرضية قولهم بأن الإنسان ناشئ عن تطور لحيوان سابق " القردة " وقد استغرق ذلك التطور من القردة إلى الإنسان آلاف السنين، فمن ذلك الذي عاش آلاف السنين حتى رأى القردة ومراحل تطورها؟!.

وما بالنا نرى الحفريات التي مضت عليها قرونا عديدة عن القردة، وما تزال الصورة القديمة هي التي تطابق الحيوان المعاصر والواقع خير شاهد.

أن الآيات القرآنية أكدت على قصة الخلق في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

إذن مسألة الزوجية شاهد على أن الإنسان الأول هو الإنسان الأول أدم و حواء، وأن القرد الأول هو وأنثاه سواء وكذلك الحال في كافة المخلوقات تبدو الزوجية حتى بين السماوات والأرضية ،فالسماوات سبع والأرضون سبع

(١) سورة الذاريات: الآية (٤٩).

ومجموعهما أربعة عشر تبدو فيها الزوجية بمعنى أن كل سماء معها أرضها وهكذا.

أن فكرة التطوريين لا تبعد كثيرا عن أصحاب النظريات التي قامت على تفسير نشأه الكون مع أن الله تعالى ذكر أنه جل شأنه خلق السموات والأرض ولم يكن أحد يشاهد عملية الخلق قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

إن الإنسان المعاصر بما لديه من استعددات ذهنية ومعارف علمية تدفع إلى دليل الأنفس ودليل الآفاق، فإذا الدليلين المشار إليهما في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

يظهر له ان الإلحاد الذي وقع فيه التطوريون والاحيائيون لا أصل له ولا دليل عليه ويجب الخروج منه.

أن قوانين الوارثة في المفهوم العام لا تقدم معطى جديدا بالنسبة للمسلم، لأن قواعد الخلق ثابتة فى عقله وقيامها على تدبير إله وخلقه المستمر، وقد وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

وبناء عليه فإن المسلم يجد متعته الذهنية وراحته القلبية والعقلية في رحاب النصوص الدينية فيزداد إيمانا على إيمانه وهذا مما يتوفر للمسلم ولا يتوفر لغيره.

---

(١) سورة الكهف: الآية (٥١).
(٢) سورة فصلت: الآية (٥٣).
(٣) سورة النحل: الآية (٨).

ثانياً ـ أهم التوصيات:

١ـ ضرورة تناول الأفكار التي تفرزها الفلسفة الحديثة على ناحية تصنيفية ثم الوقوف بها عند حد الدراسة الموضوعية ، فذلك مما يقدم الخدمة العلمية على النواحي المتنوعة.

٢ـ ضرورة دفع الباحثين إلى تلك الموضوعات من حيث بحثهم وتناولها وعرضها وتقديرها، وبيان ما فيها من صحيح أو فاسد؛ لأن ذلك مما يساعد على تقرير العقيدة الايمانية ودفع الشبه عنها وهو واجب المسلم.

٣ـ الدفع بشباب الباحثين لتناول تلك الموضوعات وإعادة الطرح مع التخلى عن فكرة ما ترك السابق للاحق شيئا، بل ترك كل شيء؛ لأن رحم العلم يقدم كل يوم الجديد بل و ألف جديد.

وإذا وقفنا عند حد ما وصل إلينا سوف تمت حضارتنا ولا تستحق سوى العدم.

ثالثاً ـ أهم المقترحات:

١ـ ظاهرة التباين وموقف الإسلام منها.

٢ـ نظرية الفروق الفردية وبيان أثرها في العقيدة الإسلامية.

٣ـ دليل التباين والاختلاف وأثرهما في الاستدلال على العقيدة.

٤ـ التطور بين الدين والفلسفة.

٥ـ أثر البحث العملي في المنظومة الأخلاقية.

٦ــ ظاهرة التعارض في المخلوقات وأثرها في الاستدلال علـــى وجـــود الله تعالى.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ــ جل من أنزله ــ.

١ــ الاتجاه التطورى وموقف الأحياء منه / لويس بارت / ترجمة عادل بيومى من ١١٣-١١٤ ط٣ دار الوفاء ١٩٨٥.

٢ــ الاتجاهات العلمية والتطورات الإحيائية / د. محمود سلطان ص ١١٢-١١٣ ط٢ مكتبة المهندس ٢٠٠٥م.

٣ــ الإسلام ونظرية داورين/ الأستاذ محمد أحمد باشميل.

٤ــ الأولية اليهودية والتطورية الموقية/ترجمة عبد العطى ط ص ٨٥ ط بيروت ١٩٧٤م.

٥ــ الأفكار الحديثة وخطورتها على الأديان القائمة / د. محسن السيد صبره ط المكتب العلمى، ط المكتب العلمي ١٩٩٤م.

٦ــ الأمثال العامية والعربية/ حرف العين/ محمد بك حفنى طلبه، ط٢ الشباب القاهرة ١٩٣٧م.

٧ــ أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة / د. محمد حسين الغزالي، ط١٠، ١٩٩٦

٨ــ تاريخ الإسلام/الذهبي.

٩ــ التطور الإحيائى وقانون الوراثة/د.محمود السيد رفعت، ط٢ مكتبة الحق ١٩٨١م.

١٠ــ التطور الإحيائى المشكلة والحلول/ د. ناراند جيمس، ترجمة: عادل حسن، ط٢ النهر الخالد ١٩٨٧م.

١١ــ التطور الإحيائى بين القبول والرد/ د. عزمى محمود سلطان: دراسة فى سلوك الإنسان والحيوان، ط الفجر الجديد ١٩٨٤م.

١٢ــ التطور الإحيائى بين المؤيدين والمعارضين/ تورينس بلاكتر، ط٢م النهضة ١٩٧٣م.

١٣ــ التطور الإحيائى ومشكلاته المعاصرة/ جورج بيكر: دراسة في عقل الآخر، لافى دعيه، ترجمة هانم شوقى / مراجعة حسن فوزى ط٣ مكتبة الغد العربى.

١٤ــ التطور الإحيائى ومشكلاته المعاصرة / د. سامى سيد نصر – مراجعة د. حسن صبرى ص٦١ المكتبة العصرية ١٩٩٥م.

١٥ــ التطور الإحيائى ومشكلة الوراثة/ د. محمد السيد حشمت، ط مكتبة الفؤاد١٩٨١م.

١٦ــ التطور الجينى/أ.د واطسن، ترجمة: وفاء صالح مكتبة فؤاد ١٩٩٥م.

١٧ــ التطور الخلق/هنرى مورس/ترجمة د. محمد محمود قاسم ط الهيئة العامة ١٩٨٤.

١٨ــ النظرية التطورية الحديثة/جيمس وكاتر، ترجمة عادل فوزي ط النهضة ١٩٧٥م.

١٩ــ التعريفات/ الجرجانى/ باب الهمزة ، ط الحلبي.

٢٠ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير/ليوتاكسل، ترجمة حسانين ميخائيل مكتبة سوريا ١٩٩٨م.

٢١ــ الحركة العاقلة فى التطور الإحيائى/ ادوارد سوفر، ترجمة: هامى فوزى/ مراجعة صبحي حسن ط٣ مكتبة الوفاء ١٩٩٥م.

٢٢ــ خطايا محاكم التفتيش/ جيمس لورانس، ترجمة: نور الدين زكريا، مراجعة السيد صبرى ط٢ المكتبة العصرية ١٩٨٣م.

٢٣ــ خلق الإنسان بين القرآن والطب/ د. فوزى إسماعيل الطنبوشى/ دراسة معاصرة، ط العهد ١٩٧٨م.

٢٤ــ الدين والعلم والمشكلات النفسية/ وليم يوسف، ترجمة: باسم جورج ط٣ مكتبة الأزوكيد ١٩٨٥م.

٢٥ــ الروضة/لأنف/العلامة الهيلى/ ط١.

٢٦ــ السوقسطانية ومشكلاتها التاريخية/ فيصل السيد صبرى، مطبعة زكى العوضى ١٩٣٥م.

٢٧ــ السيرة النبوية /ا بن هشام ص ط

٢٨ــ الصحاح تاج اللغة/ إسماعيل الجوهري/ حرف الواو، ترجمة: د/ محمد تامر وآخرين ط دار الحديث القاهرة.

٢٩ــ عسل النحل دواء بلا داء/ د. محسن السيد شعبان، ط المكتب العلمي الحديث ١٩٩٨م.

٣٠ــ العقيدة الإسلامية/ الشيخ سليم السيد طلبه الحنفى، ط الشباب القاهرة ١٩٢١م.

٣١ــ علم الوراثة/ رفعت على شريف / ط٢، ط المكتب العلمى ١٩٨٥م.

٣٢ــ علم الورثة فى الكائنات الحية/ د. رفعت شريف.

٣٣ــ القوى العضلية وبدنتحقيقها/ دمحمود حسن الفويلة ط النهر الخالد ١٩٩٣م.

٣٤ــ فقه اللغة وآدابها/ الشيخ على بن حسن بن على السنجرى، ط الشباب القاهرة ١٩٢١م.

٣٥ــ الفكر التطورى بين الأنصار والخصوم أو بين الإحيائيين، ترجمة خليل سيد طلبة مراجعة جمال حسن صابر ط٣ الأندلس ١٩٩٥م.

٣٦ــ الفكر الوصفي في الزمن المعاصر/ د. محمود سعد حسن/ دراسة في فكر زكى نجيب محمود، ط العصرية ١٩٨٥م.

٣٧ــ فلسفة العلم ودورها المعاصر/ د. ماجد شوقى حسن/ دراسة في علم المناهج ص ١٣٩ مكتبة عدلى ١٩٨٥م.

٣٨ــ القاموس المحيط/ العلامة الفيروز أيادى حـ ص ط الهيئة العامة.

٣٩ــ القانون التطورى وأثره فى العلاقات الإنسانية/ روبرت تيكس، ترجمة: ناهد شوقى ط بيروت/١٩٨٥م.

٤٠ــ قانون الوراثة الإحيائية فى الفكر المعاصر/ د. حسن سليم السعدى، ط مكتبة الفتح ١٩٨٥م.

٤١ــ قانون الوراثة وأثره فى العمليات الإحيائية / د. صبحى حسن سلمان/ ج١، ط١ مكتبة الفجر الجديد ٢٠١٠م.

٤٢ــ قانون الوراثة وآراء التطويين مراجعة إحيائية / إدوارد بكتف ترجمة د. عبد الله سعد، دار المعرفة ١٩٨٥م.

٤٣ــ نظرية الصطلح في الفكر الإسلامي/د.محمد السيد توفيق، طدار الشعب ١٩٨٥م.

٤٤ــ قطر المحيط / لويس المعلوف / ط1869

٤٥ــ قواعد المنطق السليم/ الشيخ حسن بم سالم السفتى، المطبعة العصرية ١٩٣٧م.

٤٦ــ القوانين الإحيائية والدراسات العلمية/ ترجمة عادل شوقى، ط٣ ١٩٩٥م.

٤٧ــ القوانين التطورية وعلاقاتها بالبلازما / جيمس فيكر، ترجمة: بدوى السيد حسن ط٢، ط النهر الخالد ١٩٩٣م.

٤٨ــ القوانين العلمية بين الحتمية والنظرية / د. صالح حسن أبو صالح ، ط٣، مكتبة الفؤاد ١٩٩٨م.

٤٩ــ القوانين العلمية والضرورة المعرفية / د. على حسن مصطفى، ط١، ١٩٨٤م.

٥٠ــ قوانين الفكر وأثرها فى الفلسفة المعاصرة / د. فوزى حسن خليل، ط٣، مكتبة العهد ٢٠٠٥م.

٥١ــ قوانين وراثة الأفكار والاختلاف/د.محمود على بكر، المكتبة العصرية ١٩٩٨م.

٥٢ــ لكائنات الحية بين الحتمية والاستثناء/ولتن هيلف، ترجمة:ضاوزى ط١، ١٩٩٨م.

٥٣ــ الشيخ/ فوزي علي أبو طواله، الله جل جلاله، ط الشباب القاهرة ١٩١٧م.

٥٤ــ من لم يفرق/ فصل في مبحث لأفضل الشيخ عبدالرحمن الأخضر، ط الحلبي

٥٥ــ المذهب التطورى والمشكلة البحثية، ط العهد القاهرة، ١٩٩٣م.

٥٦ــ المشكلة الإحيائية / هنرى فرجسون، ترجمة: حسن صابر مكتبة الجيل ١٩٨٣م.

٥٧ــ المشكلة الإحيائية والفكر المعاصر/ د. محمود صبرى حسن طلبه، ط٢، مكتبة الفجر الجديد ١٩٩٣م.

٥٨ــ المشكلة الإحيائية وأنا/ د. جيمس فيرز، ترجمة: السيد طلبه مراجعة د/ حنان صالح ط دار الجيل ١٩٩٥م.

٥٩ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / لأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يليه فوائد ط سنة

٦٠ــ المقصد الإسمى فى شرح أسماء الله الحسنى/ الإمام الغزالى.

٦١ــ مناهج البحث وأثرها فى التقدم الحضاري/ د.حسن السيد سليمان، ط٢ مكتبة المهند ١٩٨٥م.

٦٢ــ المنهج الإحيائى بين أنصاره وخصومه/ د. حسن شلبي/ د. توفيق محمود الطويلة، ط الفجر الجديد

٦٣ــ الموافقات فى أصول الشريعة/ الشيخ إبراهيم الشاطرى / ط٢ والشيخ عبدالله دراز، ط لأسرة القاهرة ٢٠٠٩ والمختصر ط١، تحقيق عبدالله دراز ط لأسرة ٢٠٠٩م.

٦٤ــ النزعة التطورية والإنسان المعاصر/ فيكتور لاند، ترجمة: حسن صبرى، ط٥، مكتبة المهتدى ١٩٨٤م.

٦٥ــ نظرات في كتاب الله/ الشيخ محمود شلتوت الطبعة الثانية، مكتبة الهدى ١٩٥٤م.

٦٦ــ نظرية التطور العلمى / د. تهانى محمود العتر، ط٢، الفجر الجديد ١٩٨٠م.

٦٧ــ نظرية التطور وأصل الإنسان/ سلامة موسى.

٦٨ــ النظرية العلمية بين القانون والفرض / د. عبد الحميد على المتولى / دراسة فى بيولوجيا الإنسان، ط المكتبة العصرية ١٩٨٤م.

٦٩ــ الواقعية والتطورية من مفهوم تطورى، ترجمة هادى حسن / مراجعة السيد نوفل، ط٣ العصر الجديد ١٩٩٤ك.

٧٠ــ الوراثة والإحياء والخلق الموقف/ د. سليم حسن الحصرى، مكتبة الفؤاد ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥٠٦٥
	قانون الوراثة عند التطوريين وموقف الإسلام منه	٥٠٧١
	الفصل الأول : قانون الوراثة بين المفهوم والدلالة	٥٠٧٢
	الفصل الثاني : مبادئ الوراثة ومناقشتها	٥٠٨٤
	الفصل الثالث :نتائج الوراثة ومناقشتها	٥١٠٢
١٣	الخاتمة	٥١١٦
١٤	المراجع	٥١٢٠
١٥	فهرس الموضوعات	٥١٢٧